20 me. année No 992

Le Caire 6 — 7 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٩٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٧١ — ٧ يوليه سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

الامبراطورية ذات سبعة الارواح

للدكتور عمر حليق

حرب مستمرة فى الهند الصينية الفرنسية ، وثورات عنيفة فى تونس ، وغضبة تحمل فى ثناياها الدم والنار فى مرا كش والجزائر ، وتيارات قومية تجتاح مدغشقر وممتلكات فرنسا الأفريقية ، وأعباء عسكرية ترهق كاهل الميزانية الفرنسية الآن ، وقد جاء البعث الألمانى بظله المخيف على حدود فرنسا ، وضائقات اقتصادية زعزعت كيان « الفرنك » وأخلت بميزان فرنسا التجارى والنقدى ، فزادت من حدة التوتر الداخلى بين هذه الأحزاب السياسية الكثيرة التى تؤلف البرلمان الفرنسى وتجعل الوزارة الفرنسية أضحوكة الأندية والمحافل السياسية .

ويعجبنى هذا العنوان الفكه الذى صدرت به إحدى الجرائد الدانمركية أنباء القلاقل فى تونس فى الآونة التى سقطت بها الوزارة الفرنسية سقطات متتابعة خلال بضعة أسابيع ، فقد كان العنوان على النحو التالى :

تونس تشتكى من أن الحالة الداخلية فى فرنسا متوترة

هذه المشكلات والأزمات والضائقات التى تواجه فرنسا اليوم ، تدفع المرء إلى أن يتساءل : هل الإمبراطورية الفرنسية فى طريق الزوال ؟

لقد استمع الناس إلى المسيو شومان وزير خارجية فرنسا ، يستجمع كل ما لديه من ظرف ولباقة فرنسية ويناشد الجمعية العامة لهيئة الأمم فى جلسة باريس ، بأن تتريث قليلا قبل أن تدين فرنسا بالعبث بحقوق المرا كشيين . ففى جعبة فرنسا خطوط جديدة لسياسة مثالية ، لا لمرا كش فحسب ، بل لجميع هذه الشعوب التى تعيش فى ظل العلم الفرنسى

ثم استمع الناس مؤخرا إلى مندوب فرنسا فى مجلس الأمن يعد العرب والآسيويين الذين تبنوا قضية تونس فى مجلس الأمن ، بأن فى حافظة وزارة الخارجية الفرنسية مشروعات مثالية لحل المشكلة التونسية . وكل ما تطلبه فرنسا فترة معقولة من الزمن ، تمد فيه الأمر وتنشر على الناس ما أعدته من أسس جديدة لعلاقة فرنسا بالشعوب الآسيوية والافريقية الخاضعة لها

وقد كان كاتب هذه السطور فى إحدى جلسات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بتونس ، يتحدث إلى صديق من أحد وفود أمريكا اللاتينية (وهى منطقة تربطها بفرنسا روابط روحية وثقافية متينة) وذلك خلال الدفاع البليغ الذى كان مندوب الباكستان فى مجلس الأمن السيد أحمد بخارى يفند فيه مزاعم فرنسا وتأويلاتها عن القضية التونسية ، قال الديبلوماسى اللاتينى وقد تأثر من بلاغة البخارى : « أنتم أيها

العرب والآسيويون على حق فى مؤازرة تونس ، ولكن لم لا تمطون فرنسا الفرصة الكافية لإصلاح ما أفسده استعمارها القديم على ضوء ما وضعته اليوم من سياسة تقدمية تثبت علاقات فرنسا مع مستعمراتها على أساس جديد نبراسه التعاون الصادق والشركة الأمينة فى إطار « الاتحاد الفرنسى » على نحو ما انتهجته بريطانيا فى « الكومنويلث » وحلت به أزماتها مع الهند والباكستان والمناطق الأخرى التى كانت ملكا للتاج البريطانى ؟ ويبدو أن « لاتينية » صديق الدبلوماسى كانت أشد من نظارته السياسية ، فقد سارونى محذرا : لا تخطئوا فى قوة الامبراطورية الفرنسية برغم ما أثخنت به من جراح . فهذه الامبراطورية الفرنسية كالقطط لها سبعة أرواح

والواقع أن قسما من الرأى العام فى أوربا وأمريكا يشاطر هذا الدبلوماسى رأيه فى هذه الأرواح المتعددة التى تكمن فى الامبراطورية الفرنسية ! وليس من الصعب أن ندرك سر هذه النظارة إلى حاضر فرنسا . فصناع السياسة الفرنسيين يجندون كل ما توفره لهم ثقافتهم من ظرف ولباقة ومرونة لغوية ومنطقية ، لاقناع الناس بأن فى جعبة وزارة الخارجية الفرنسية حلا جديدا لهذه الأزمات والضائقات التى تعانيها فرنسا فى آسيا وإفريقيا ، فيما تنشره فى الملأ العالمى من تفاصيل « الاتحاد الفرنسى » الذى تطمح فرنسا بواسطته أن توازى فى الحقوق والواجبات بين سكان فرنسا وسكان المستعمرات والمحميات الخاضعة للفرنسيين

ترى ما مبلغ الصدق فى هذا الادعاء وما حظ هذا « الحل » الفرنسى من النجاح ؟ وهل حقا أن الامبراطورية الفرنسية ذات سبعة أرواح ، أم أنها تمر الآن فى مثل ما مرت به الامبراطوريات فى التاريخ القديم والحديث من رق وانحطاط

وحقيقة الأمر أن نعرف اليوم أنها أكبر إمبراطورية معاصرة بعد أن تضاءلت ممتلكات بريطانيا فى عالم ما بعد الحرب . فلفرنسا اليوم سيطرة مباشرة على حوالى ٧٧ مليونا من البشر يعيشون فى فسحة من الأرض مساحتها تزيد على ٤ ملايين ميل مربع ونصف ميل ، موزعة على القارات الخمس ، بحيث لا تغيب الشمس عنها . وهذه المساحات الشاسعة مرتبطة بفرنسا بخطوط أصبحت من الوهن بحيث لا يدعمها اليوم إلا الحديد والنار ، سواء فى الهند الصينية الفرنسية أم فى شمال إفريقيا العربية .

وفرنسا اليوم برغم لباقتها فى إقناع الناس بأن الاتحاد الفرنسى فى صيغته النهائية سيحل محل الحديد والنار ، كدعامة للروابط الودية بين فرنسا ومستعمراتها ومحمياتها ، إلا أن خبراء الشؤون الفرنسية لا يؤمنون بذلك ، ويصرون على أن جوهر سياسة فرنسا الاستعمارية اليوم ، يهدف إلى التخلص والتملص من المستعمرات فى آسيا والمحيط الباسفيكى ، وتركيز الجهد فى شمالى إفريقيا العربية ، وجعلها « امتدادا » جغرافيا للوطن الفرنسى ، وتحويل هذه المنطقة العربية إلى حصن منيع للثقافة والحضارة الغربية ، تحيى فرنسا فيه موات ثقافتها اللاتينية فى أمن ورخاء لا توفرها لها اليوم الأرض الفرنسية وما يحيط بها من أخطار الهجوم الألمانى والسيطرة الشيوعية» على حد قول كاتب أمريكى خبير بالشؤون الفرنسية فى العدد الأخير من مجلة « عالم الأمم المتحدة »

ولعل هذا يفسر لنا سر هذا التعنت الشديد ، والتحرش الصاخب الذى تعالج به فرنسا مشكلة تونس والجزائر ومراكش ، والقسوة الدبلوماسية العنيفة التى لجأت إليها فرنسا فى مواجهة الدول العربية والآسيوية التى تبنت قضية شمالى إفريقيا أمام الأمم المتحدة

إذن فخرافة «الحل» الفرنسى وفكرة « الاتحاد الفرنسى » وأسطورة الامبراطورية ذات السبعة أرواح ، ليس إلا رمادا تذره فرنسا فى عيون الناس ، لتعميهم عن حقيقة الهدف الذى تطمح فرنسا فى أن تعالج به مآزقها الامبراطورية ، وهو هدف واقعى يعترف بأن الامبراطورية الفرنسية لن تستطيع العيش حتى بسبعة أرواح ، وأنها اختارت أن تقصر قبضتها الشديدة القاسية على أقرب المناطق لها ، وهى شمالى إفريقيا العربية

وإذن فالامبراطورية الفرنسية فى تفكك وانحلال . وعلماء النفس يقولون لك إن المرء حين يعتريه نوع من التفكك والانحلال يميل إلى العنف والقسوة فى أغلب الحالات . ولعل هذا يفسر هذه القسوة العنيفة الشريرة التى تمارسها فرنسا ضد إخواننا المغاربة ، قسوة لا حدود لها ، فقد أهلكت الحراب

الفرنسية في الجزائر منذ سنوات قليلة ٤٠ ألف شخص من الرجال والنساء والأطفال ، في حملة « تأديب » واحدة . وحوادث تونس اليوم مثل واضح على هذه القسوة الفرنسية . ألوف من الفرنسيين ، قادة ورعايا قابعون في غياهب السجن وقيود الاعتقال ، وحراب سنغالية سوداء تفتك بالنساء والأطفال والرجال ، وكأنما تشهد بذلك حوادث « كاب بون » الأخيرة ، واضطهاد مرير يعانيه المرا كشيون ، اضطهاد ومذلة تشهد بها مواخير منطقة « القصبة » في الدار البيضاء ، حيث يعمرها بنات السادة والأشراف اللاتى شردهن الفرنسيون من جبال الأطلس والمدن المرا كشية بعد ثورة الريف والثورات العديدة التي أتت في أعقابها ولا تزال

ويحب كاتب هذه السطور أن يروى على سبيل المثال حادثة واحدة تشهد على « فضائل » الحضارة الغربية التي تنوى فرنسا أن تجعل إفريقيا العربية حصنا منيعا لها . فقد زرت مدريد منذ بضعة أشهر ، وأثار تطفلى أحد خدم فندق «ريتز» الذي كنت أقيم فيه ؛ فقد كان شيخا وقورا محنى الظهر ، في عينيه مذلة وانكسار تبعث في النفس الحنان له والرغبة في مؤاساته . ولم يكن يعرف أننى عربى ، ولم أ كن أعلم أنه من سادة قبيلة جليلة القدر في جبال الأطلس المرا كشية . ولما تم تعارفنا وأنفقنا الساعات يسرد علي فيها مأساته السياسية ، وقسوة النفى والتشرد على كرامته وشيخوخته ، لمحت أنه يخفى سرا لم أستطع استدراجه إلى الحديث عنه في جلستنا الأولى ، فقد كانت كرامة الرجل وطيب محتده أعظم وأرفع من أن يعترف بسره الدامى إلى صديق عابر

سر وأى سر ! سيد في قومه يوثق بالقيود ، ويشاهد الضباط الفرنسيين يفتكون بعرض بنته الصغرى ، ويتناولونها الواحد بعد الآخر ، ثم يرمونها كما لو كانت قطعة من العظم إلى الجنود السنغاليين، الذين كانوا يفتكون بامرأته في حظيرة الدار . وقد وجد الرجل في (مدريد) مصدرا للعيش ، ولـكنه عيش ذليل ، يزداد مذلة كلما تذكر الرجل أن ابنته الآن عاهر في ماخور ملحق بمعسكر فرنسى في الساحل المرا كشى . ولولا أن الانتحار محرم على المسلمين لما فضل هذا السيد الوقور الحياة يوما واحدا

ومع ذلك فدعوة فرنسا إلى جعل إفريقيا الشمالية حصنا منيعا للحضارة الغربية تجد — مع الأسف المرير — في أوربا وأمريكا بعض الآذان الصاغية

وعلى قدر هذه الشناعة الفرنسية يتأجج حماس المغاربة العرب في تحقيق السيادة القومية والتخلص من الاستعمار الفرنسى . ولذلك فإن كل ما يعترض هذه الحركات الوطنية في تونس ومرا كش والجزائر من عقبات ومصاعب ، لن تقوى على جعلهم حصنا للحضارة الغربية ، فالمسألة ليست مقصورة على كف أعزل يلاطم حربة حادة الرأس، فجوهر الصراع في المغرب العربى يستند إلى أعمق ما في المبادئ من معتقدات خلقية ودينية بالاضافة إلى المبادئ السياسية والاقتصادية . ويبدو أن الامبراطورية الفرنسية قد أخطأت اختيار المكان والزمان لتحويل هذه المنطقة العربية الإسلامية إلى حصن منيع للحضارة الغربية .. فليست هذه هى المرة الأولى التي تواجه فيها العروبة والاسلام هذا النوع من الصراع الخلقى والدينى

ومادامت العروبة والاسلام راسخين في بلاد المغرب، ومادام الزمن يخدم الآن الشعوب العربية والاسلامية في المعترك الدولى ، ومادامت دعائم « الحضارة الغربية » قد طوحت أو كادت تطوح بالوطن الفرنسى نفسه .. فإن زوال الامبراطورية الفرنسية أمر لا مفر منه حتى لو كان لهذه الامبراطورية سبعة أرواح. فروح واحدة شريفة المبدأ .. صقلتها الآلام والتجارب.. كفيلة بأن تدمر وتشهد هلاك هذه الأرواح السبعة .

بقى أن يشارك العرب والمسلمون إخوانهم المغاربة في هذا النوع من الصراع «الإمبراطورى» اللعين مشاركة جدية

نيويورك عمر حليق

٣ - إندونيسيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

جنة المأوى :

الله فى حسناء ذات عذار (جاوا) وربك جنة الأبرار
هذى الطبيعة قد بدت فى قاعها للقلب فاتنة وللانظار
جمعت فأوعت من بدائع آيها سوراً مفصلة وغير قصار
الله أكبر كم وراء جمالها أفق من السحر الحلال السارى
الله أكبر إنها من جنة الـخلد التى وعد العباد البارى

هذه أبيات من قصيدة يتغنى فيها أحد الشعراء بجمال جاوة وسحرها ، وفيما يلى وصف لأشهر الجزائر الإندونيسية

جاوة أكثر الجزائر الإندونيسية عمرانا وسكانا وإن لم تكن أكبر مساحة . على أنه ليس معنى ذلك أنها جزيرة صغيرة جدا إذ تبلغ مساحتها ١٣٢٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ خمسين مليونا من الأنفس وهو عدد ليس بالقليل. فسكان مصر عشرون مليونا ، وسكان بريطانيا بأسرها أقل من عدد سكان جاوة وحدها

ويلاحظ أن هذا العدد من السكان جعل جاوة من أكثر جهات العالم ازدحاما بالسكان، فإن نسبتهم تقدر بنحو ألف شخص فى الميل المربع . وأنا أريد أن أصل إلى شئ آخر ، ذلك الشئ هو أن جاوة جزيرة غنية وفيرة الموارد كثيرة الخيرات . وإلا ما استطاع هذا العدد الضخم من السكان أن يعيشوا فيها ، ذلك لأن الإنسان لا يعيش إلا حيث تتوافر له سبل الحياة من مسكن وغذاء.. وهى جميعا موفورة فى جاوة

وجاوة جزيرة مستطيلة تقع عند خط الاستواء، وتتوسطها سلاسل من الجبال، وتمتد على سواحلها الشمالية والجنوبية سهول خصبة يجرى بها عدد كبير من الأنهار، يتجه بعضها إلى الجنوب حيث يصب فى المحيط الهندى ، ويتجه بعضها شمالا حيث يصب فى بحر جاوة

والجبال فى جاوة جبال بركانية مما جعل تربتها غنية خصبة ، وقد ساعدت خصوبة التربة وغزارة الأمطار على وفرة الإنبات مما جعل جاوة من أغنى مناطق الإنتاج الزراعى فى العالم

ومناخ جاوة والجزائر الإندونيسية لطيف معتدل برغم وقوعها عند خط الاستواء ، ويرجع السبب فى ذلك إلى ارتفاع سطح الجزائر وإلى إحاطة البحر بها.. فقد خفف هذان العاملان من حدة الحرارة وجعلا المناخ لطيفا معتدلا

وجاكرتا عاصمة الجمهورية الإندونيسية وعاصمة جاوة، ويمكن أن تسمى قاهرة الشرق الأقصى ، فهى تشبه القاهرة إلى حد بعيد ؛ فكلتاهما تأخذ بأسباب المدنية الحديثة : عمارات شاهقة ، وسيارات فاخرة، وشوارع مزدحمة، ومحال تجارية كبيرة، ورجال ونساء يأخذون بأسباب المدنية الحديثة فى حياتهم وأزيائهم

وقد نمت جاكرتا كثيرا بعد الاستقلال وتزايد عدد سكانها واتسعت رقعتها ، وتعتبر مركزا هاما للطيران ، وهى سهلة الاتصال بباقى أنحاء جاوة وبباقى جزائر الإندونيسية والعالم، سواء بطريق البحر أم بطريق الجو

وفى جاكرتا فنادق ودور سينما ومطاعم من الدرجة الأولى، وفيها حديقة للحيوان وأحواض لأنواع السمك المختلفة وأماكن للألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها

وفى جاكرتا مدارس ابتدائية وثانوية وعالية وعدة كليات للجامعة الإندونيسية ، منها كلية الطب والحقوق ، وفيها متحف ومرصد يعتبر من أقدم المؤسسات العلمية فى جنوب شرق آسيا إذ يرجع تاريخ تأسيسه إلى ١٨٥٨

ومحطة الإذاعة بجاكرتا تملك أقوى أجهزة للارسال والاستقبال فى جنوب شرق آسيا ، وتذيع يوميا بسبع لغات

ويبلغ عدد سكان جاكرتا مليونين من الأنفس

سومطرا:

إحدى الجزر الكبرى.. ويفصلها عن شبه جزيرة الملايو مضيق ملقا. وتبلغ مساحتها ٤٧٣٦٥٩ كيلومترا مربعا وسطحها جبلى، وفيها بحيرات وأنهار كبيرة تصلح للملاحة ، وبها مزارع كبيرة للمطاط والتبغ والشاى ، وبها معمل لتجفيف الشاى يعد أكبر معامل الشاى فى العالم على الاطلاق

ويبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة، وعاصمتها ميدان ديلن وقد كانت هذه الجزيرة أول مهد الإسلام فى إندونيسيا

بورنيو :

أكبر الجزائر الإندونيسية بعد غينيا الجديدة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٣٩٤٦٠ كيلو مترا مربعا، ويتبع ثلثها الشمالى لبريطانيا، أما الثلثان الباقيان فقد كانا تابعين لهولندا ، وبعد الاستقلال أصبحا جزءا من الجمهورية الإندونيسية . ويبلغ عدد سكانها حوالى مليونين ونصف تقريبا ويشتغلون بالتجارة والزراعة والصناعة وصيد السمك ، وعاصمتها بانجارماسين

جزيرة بالى :

وتقع شرق جاوة ويفصلها عنها بوغاز بالى ، وهى جزيرة صغيرة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٤٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ١٫٣٦٢٫٢٥٠ نسمة ومعظمهم وثنيون

وهذه الجزيرة مشهورة بطبيعتها الجميلة وفنونها وآثارها التى تجذب السياح إليها من جميع بقاع الأرض ، وممن زارها شارلى شابلن وبرنارد شو وويلز

ويعنى أهلها بالرقص بنوع خاص ، إذ يعتبر الرقص فى نظر سكانها جزءا ضروريا لحياتهم ولا عجب فى ذلك ، إذ أنهم يعتبرونه طقسا من الطقوس الدينية . والقرية التى لا تملك جوقة موسيقية أو فرقة راقصة تفقد احترامها وقيمتها فى عين السكان فيبادرون إلى تلافى هذا النقص ورفع هذا العار

هذا وصف مختصر للجزر الإندونيسية الهامة

إندونيسية رايا :

قامت فى السنوات الأخيرة محاولات لإقامة إندونيسيا العظمى، وهى تهدف إلى جمع جميع الجزائر الإندونيسية تحت راية واحدة، أو بعبارة أخرى أن تكون الملايو والفلبين والجزر الإندونيسية الحالية دولة واحدة ، وبهذا التوحيد تبلغ مساحة إندونيسيا رايا ٥٦٢٫٩١٠ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٩٣٫٧٨٠٫٨٣٣ نسمة ، ٩٠ ./. منهم مسلمون . حقق الله الآمال

الحياة الاجتماعية :

تمتاز الحياة الاجتماعية فى إندونيسيا بأنها حياة شرقية إسلامية، فالعلاقة بين أفراد الأسرة متينة، والتعاون بين السكان سواء فى القرية أو فى المدينة قائم . هذا وحياة إندونيسيا الاجتماعية مصبوغة بالصبغة الإسلامية إلى حد بعيد ، فالأخلاق الإسلامية تتغلغل فى نفوس الإندونيسيين تغلغلا عميقا ، فتراهم يكرهون الرياء والتظاهر ، ويتمسكون بالدين تماما

وفى أوائل القرن العشرين كانت الحياة العامة فى إندونيسيا من فكرية واجتماعية وسياسية فى حالة خمول وركود ، وما لبث الإندونيسيون أن تنبهوا إلى حقيقة مركزهم، فتكونت الجمعيات التى تهدف إلى الاصلاح، وكان فى مقدمتها الجمعية المحمدية وقسمها الخاص بالنساء المسمى بالعائشية ، وكان شعارها « قليل الكلام كثير العمل » وكانت ترفض الاعتراف بفرع لها إلا إذا قام بعمل اجتماعى ملموس مثل إنشاء جامع أو مسجد الخ

وبفضل نشاط المصلحين والجمعيات تنبه الوعى القومى فى إندونيسيا حتى حقق الله لها الاستقلال

والمرأة الإندونيسية لم تعرف الحجاب ولكنها كذلك لم تعرف الابتذال ولا الاختلاط المزرى، فلم تدخل حماما مختلطا ولا مرقصا ، ولم يستطع المستعمرون أن يفتحوا ماخورا واحدا فى البلاد !!

من أجل هذا أقبل الإندونيسيون على أفلام مصر السينمائية أول الأمر لأنهم يحبون مصر ، ولكن لما وجدوا فى الأفلام المصرية من ابتذال انصرفوا عنها وقاطعوها. وهكذا أضر مخرجو السينما بسمعة مصر ومركزها !!

وقد قامت المرأة الإندونيسية بنصيبها فى ميادين النشاط الاجتماعى ، وكانت ما تزال مثلا كريما للمرأة الكريمة . ومن أعظم نساء إندونيسيا المرحومة رادين كارتينى ، فقد تزعمت حركة الإصلاح الاجتماعى ورسمت فى رسائلها «من الظلمات إلى النور» الخطة المثلى التى تسير عليها المرأة الإندونيسية فى جهادها الإصلاحى . وبفضل تعاون الإندونيسيين رجالا ونساء تحقق استقلالهم

للكلام صلة

أبو الفتوح عطيفة

حول قبر الاسكندر

للأستاذ عبد المنعم مختار

« يقول المعاصرون بأن قبر الإسكندر نفس مسجد النبي دانيال نفسه إن لم يكن تحته والذي كان يدعى منذ القرن السابع عشر باسم مسجد سيدى الاسكندر »

رأى القدماء

إن المصادر القديمة تحدثنا بأن الإسكندر أوصى قبل وفاته بأن يدفن بواحة الإله آمون (سيوة) ولكن بطليموس سوتير عمل على دفنه بمدينة ممفيس حسب عادة المقدونيين فى الدفن . وجاء بطليموس الثانى الفيلادلفى بعد والده ونقل الجثة إلى الاسكندرية ، وأخبرنا بوزنياس عن ثورة الرأى العام عليه واعتبر نقله إلى الإسكندرية إجراما وشناعة أكثر مما فعله بتزوجه بأخته أرسنيوى — لإقلاقه راحة البطل العظيم فى مضجعه الأخير — وكذلك لم يلق من بلاطه وأعوانه أى استحسان لهذا النقل لجدث ملك عظيم اعتبر فى مصاف الآلهة . وابتنى له قبراً فى غاية الفخامة والإبداع، وكان الضريح داخل الأرض، أما البناء الذى أقيم فوقه فكان يشتمل على سلم للدخول كعادة المدافن والمعابد الإغريقية ، ثم فناء مربع هو الناووس (اوبيستودوم) ثم ممر طويل يصل إلى الضريح الموجود به النعش وقد ألحق به معبداً للكهنة القائمين بإجراء الطقوس الدينية : ثم تطوق المبد أروقة دائرية شيدت فى عصور متأخرة

ولما كان الاسكندر مؤسس الدولة الإغريقية فقد اتخذ الملوك مدافنهم حول قبره بعد حرق جثثهم كما حدثنا بوليب بالتفصيل : وقد شيد فيلادلفيوس مدفنا لوالده سوتير ، ولنفسه ولزوجته . ويحدثنا كوريمون عضو متحف الاسكندرية فى سنة ٨٠ بعد الميلاد عن القبر بمخطوطه الذى نشره الدكتور بوتى ... أما قبره هناك فكان مزينا بالرخام وهو مضجع فى ناووس محفور اسمه على غطائه ، وحول نعشه قبور من الحجر السماق أقل فخامة من قبره هى قبور الملوك السبعة وزعيمهم بطليموس سوتير ...

وتخرج بنتيجة هامة حققها ودرسها كل من الدكتور بوتى والأب [1] لويس ملحة فى أن القبر [2] كان فى منطقة صارت مدفنا ملكيا بوسط المدينة

الآراء الحديثة

وجاءت الآراء الحديثة بجديد عن قبر الإسكندر كذب البعض دفنه بالاسكندرية والبقية التى حبذتها انقسمت على أنفسها إلى ثلاث فرق : الأولى فى أن القبر تحت مسجد النبى دانيال وهذا ما سأناقشه تفصيلا، والأخرى منطقة المقبرة الشرقية ، ورأى آخر بعيد الاحتمال هو بالمقبرة الغربية

وإنى أتقدم برأيى المتواضع وقد يكون على خطأ وقد يكون صائبا..وإن كان فيه مسحة من الصواب فإنه ليقارب الآراء الأخرى البعيدة الاحتمال والتصديق

قيل بأن قبر الإسكندر كان فى [3] منطقة طريق السما التقاطع [4] مع شارع كانوب (النبي دانيال وفؤاد الأول) وهو عتد من بحيرة مريوط جنوبا إلى شاطئ البحر الأبيض شمالا بالقرب من شبه جزيرة ممزل تيمونيوم والمكتبة ودار الحكم والسوق والجنازيوم .. وقد ورد بأشعار هيروندا ، وآراء الدكتور برتشيا بأن معبد السزاريوم ومسلات كليوباترة الشهيرة كانت بأول الطريق ، وإن بنهايته يوجد منتزه بيوم . إذاً فقبر الإسكندر إن وجد فمن البداهة أن يطل على الميدان والمنتزه لكى تظهر روعته ، وإن كان على الميدان فهل هو من يمين أو يسار الشارع ؟ يقول استرابون لوصفه القبر بأنه كان عن يمينه عند دخوله الإسكندرية . فهل دخل الاسكندرية عن طريق شارع السما من جهة البحر ؟ أم عن طريق الميناء الداخلى عريوط ؟ إنه قد دخل بطبيعة الحال من طريق السما ومنه [5] فإن القبر عن يمينه أى يمين الشارع . والذى أراه عند تطبيق

(١) مجلة الجمعية الأثرية بالاسكندرية عدد ٢١ سنة ٢٥

(٢) مجلة كلية الآداب بالاسكندرية عدد ٤ س ١٢٩ الأستاذ زكى على ، تاريخ مصر الأستاذ إبراهيم نصحى

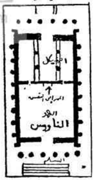
(٣) فؤاد فرج ــ الاسكندرية س ١٧

(٤) Zoghed Etude sur l'art Alexandrie

(٥) مجلة كلية الآداب عدد ٢ س ١٦٢

مبادئ هندسة تخطيط المدن القديمة والرجوع إلى تخطيط (٦) المدن القديمـة كمدينة صور مثلا نجد أن القبر يوجد على الجهة اليمنى لوجود كثير من المخلفات ، منها مخلفات معبد على الطراز الدورى وأعمدة كورنثية بالجهة اليمنى من الشارع ، ولما توسع الملوك بنوا مقابرهم حول هذا الضريح كما يجزم الأستاذ زكى على ببحث له بمجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول المجلد الثانى ، والدليل على ذلك وجود أعمدة بجوار مسجد سيدى عبد الرازق فى نفس الشارع وهى ولا شك معابد تكميلية لقبر الاسكندر أو المعبد ذو الأروقة الدائرية التى بجوار القبر . والذى يرجح هذا الرأى وجود بقايا مقابر ملـكية اكتشفتها البعثة الفرنسية بالقرب من ذلك المـكان (مسجد المطارين — وشارع محطة مصر القديمة) والعثور على ناووس ينسب إلى الاسكندر والذى أدى إلى رأى الأستـاذ إن ويس (٧) المشهور عن عصر الاسكندر ودفنه فى تابوت نقل من قبر أمير فرعونى من الأسرة الثلاثين

معبد ومقبرة الاسكندر



رسم تخيلي للمقبرة
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

الفرد السادس عشر

ذكر الرحالة مارمول بأن قبر الملك إسكندر يقع على (٨) بعد ٣٠٠ متر من كنيسة القديس مرقص الموجودة بشارع النبى دانيال ، وعند التطبيق نجد أنه لاينطبق قياسيا على مسجد النبى دانيال، ثم إن القياس إن عين مكانا وكان صحيحا فى تعيينه مكان القبر فهو لم يذكر هل المـكان يوجد عن يمين أو يسار المـكان المتخذ مبدأ للقياس . واستنادا (٩) على رأى الدكتور بوتى فى أن القبر يوجد بالجهة اليمنى وبوسط المدينة ، ومن الحفريات التى أجراهـا الأستاذ (١٠) حسن عبد الوهاب بمنطقـة المسجد ، وبالرجوع إلى أبحاث كل من الأستاذ (١١) أرثر لين أمين متحف فيكتوريا وابرت الدكتور (١٢) الن ويس المنشورة بنفس المجلة يتضح بأن منطقة القبر والمسجد والقبر هى من بقايا العصور العربية القديمة. .وقد فصل الأستاذ حسن عبد الوهاب فى المسألة بأن القبر ليس موجوداً بتاتاً بهذا المـكان وخرج إلى التأكيد بأن منطقة كوم الديماس (كوم الدكة الحالية) كانت مقبرة إسلامية منذ القرن الثالث الميلادى

هل كان قبر الاسكندر معروفا فى العصور القديمة ؟

إن يد التخريب قد أحدثت بهذا الهيكل كثيرا من الآثار ، فقد سلب بطليموس الحادى عشر تابوت الإسكندر الذهبى وبدله بآخر من مادة زجاجية (وقيل من نوع (١٣) من الرخام الشفاف جدا) كما زادت كليوباترة الأخيرة على فعل سلفها بأن سلبت المقبرة كل ما هو ثمين . ولم يقتصر الغزو الأجنبى على فتح وتدمير البلاد، بل عمل على سلب محتويات المقابر . وفى القرن الثالث انقادت الثورات بالحروب الدينية ضد الوثنية والحرب العامـة لتفكك الامبراطورية الرومانية فنالت الاسكندرية منه الأهوال ومنهـا المقابر الملـكية التى أصبحت أثرا بعد عين (لـما هو معروف عن تعصب المسيحيين الأوائل ضد كل ما هو وثنى) حتى لنجد القديس (١٤) يوحنا فى خطبة ألقاها فى ختام القرن الرابع يتساءل « خبرونى أين يوجد قبر الاسكندر »

(٦) كتيب مدينة تدمر (وزارة المعارف السورية)
Gardiner objmpio. oxford 1925 delphes. pierre de la coste, Menettere Picard la saulfture Antique de Findies, Paris 1943

(٧) س ٤ مجلة كلية (لارب بالإسكندرية عدد ٤)

(٨) الأب لوس جلوب . مجلة الجمعية الأثرية عدد ٢ الإسكندرية فؤاد فرج س ٧٠

(٩) مجلة كلية الآداب عدد ٢ س ١٦٢ . حولية المتحف الرومانى

(١٠) تاريخ المساجد الأثرية . ١٩٤٦

(١١) مجلة كلية الآداب عدد ٥ س ١٤٣ ، ١٤٤

(١٢) نفس المجلة عدد ٤ س ١٠

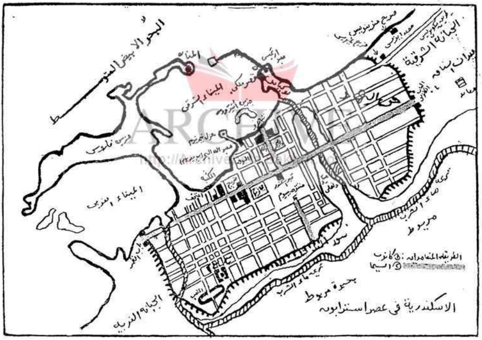
(١٣) نفس المجلة عدد ٢ س ١٦٢ الأستاذ زكى على

(١٤) تاريخ الأمة القبطية . ا ل نصر ١٩٠١ ميلادية مجلة الجمعية الأثرية الملكية

وهناك مصدر آخر هام وهو كتاب جغرافية مصر (١٥) لأميلينو يقول ... إنهم عند ما كانوا ينزعون الأنقاض من المكان المسمى بكوم الدماس (كوم الدكة) عثروا على أدوات من الذهب يرتقي عهدها إلى عهد الاسكندر وذلك عند بناء كنيسة هناك باسم النبي إيليا ويوحنا في زمن توفيل بطريق الاسكندرية في القرن الرابع ... ومن قوله يتضح بأن بقايا القبر كانت موجودة بكوم الدماس ، فهل نزعت تلك الأنقاض من تحت التل — الذي نشأ في عصور تلت بناء المقبرة فغطاها — لبناء تلك الكنيسة وهي التي تكبد مجهوداً جباراً في إزالة الأتربة للوصول إلى تلك الأنقاض في مستوى المدينة القديمة .

هل القبر تحت مسجد النبي دانيال ؟

اتضح من البحث أنه لا أصل لتسمية المسجد باسم النبي دانيال لأن هذا النبي الكريم دفن ببلاد العيلام بمدينة السويس كما هو وارد في الكتب المقدسة وطبقاً لتحقيقات كثيرة تفيد ذلك ، منها رأى فضيلة الأستاذ بشير الشندى المسهب . وهذا المسجد لم يظهر للوجود إلا في خلال القرن السادس عشر تقريبا . ولم يذكره أحد من المؤرخين والرحالة من العرب قبل ذلك التاريخ علما وهم معروفون بذكر التفاصيل والاطناب وذكر الروايات المتعددة والمصادر المتضادة . فلم يتعرضوا لهذا



ومن هذا نخرج بنتيجة هامة وهي أن المؤرخ لم يكن له قصد معين في تعيين مكان رفع الأنقاض والتي ولا شك انتزعت من المكان القريب جداً، الذي يكاد يقارب بناء الكنيسة الموجودة على التل والتي بنيت عليه ثم قام على أنقاضها على مر الزمان مسجد يعرف باسم النبي والملك اسكندر ، والقربه من قبر الاسكندر سمي بهذا الاسم

(١٥) جغرافية مصر

المسجد ولو بإشارة بسيطة مما يدل على عدم وجوده في تلك الفترة من الزمن — فالحافظ السلفي وصف كوم الدماس بأنه مقبرة إسلامية، وجاء البلوي في القرن السادس الهجري فوصف المدينة وآثارها والفنار ولم يتعرض لذكر المسجد . ثم تلاه ابن جبير (١٦) والبغدادي (١٧) اللذان وصفا كل آثار الاسكندرية

(١٦) رحلة ابن جبير
(١٧) كتاب الإفادة والاعتبار

عدا المسجد وكان يستحق بعض عنايتهم إن وجد. ثم جاء بعدهم مؤرخو القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى مثل ياقوت (١٨) والمقريزى (١٩) والسخاوى (٢٠) وغيرهم وكانت أخبارهم سلبية عن المسجد . حتى إن الرحالة الأجانب فى تلك الفترة الذين وصفوا دقائق المدينة وخباياها لم يتعرضوا بأى إشارة عن المسجد والقبر مثل سبرياك دى إنكوناه ، وليون الافريقى . ثم جاء الرحالة مارمول فى منتصف القرن السادس عشر فذكر أن قبر النبى إسكندر كان فى وسط المدينة بين الخرائب قريبا من الكنيسة المرقصية المجاورة لمسجد النبي دانيال والمسافة بينهما ٣٠٠ متر أى أن هناك قبر الملك والنبى إسكندر وقبر النبى دانيال . وهذا دليل على أن القبر ليس بمسجد النبى دانيال

ومن الوقائع السالفة نخرج بنتيجة هامة جد وهى أن القبر زال من الوجود منذ القرن الرابع الميلادى. ثم إن المؤرخين العرب لم يتعرضوا لشئ غير موجود حتى ظهر أخيرا بعد أحد عشر قرنا باسم النبى اســـكندر فى عصر المماليك . فليس من المعقول إن كان المسجد موجودا أن يتجاهله القوم أحد عشر قرنا من الزمان لم يتعرض له فى خلالها أى مؤرخ

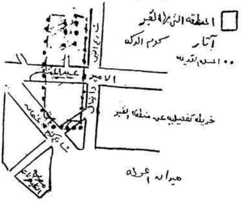
فى العصر الحديث :

وفى القرن الماضى ادعى أحد تراجمة القنصلية الروسية أنه وجد سردابا تحت مسجد النبى دنيال ومنه شاهد ناووس الملك الزجاجى وحوله قراطيس وكتب من البردى . والظاهر أنه قد قرأ قول استرابون فى وصف المقبرة ، حتى إن محمود الفلكى باشا عند ما عين المكان وجد أنه مملوء بالحجارة وقطع الرخام علاوة على الرطوبة التى تتلف الكتب (وهذا المكان هو قباب وصهاريج ماء رومانية) ثم إن هناك رأيا آخر فى أن التابوت من مادة رخامية شفافة جدا وليس بزجاج فكيف ادعى الترجمان بأنه من الزجاج ؟ جاء الأستاذ حسن عبد الوهاب وأجرى حفرياته عند ترميم المسجد فوجد صهريج ماء ملاصقا للايوان العربى المسجد وأجرى فيه وفى منطقة حفريات (الصهريج وطابقيه ومسارب مائه الثلاثة) فظهر بأن تلك المنطقة مقامة على مقبرة إسلامية ثم وصل إلى مستوى المدينة القديمة فلم يجد أى دليل على وجود ما ينم عن وجود مبانى إغريقية حتى ولا بقايا كنيسة النبى إيليا التى بنيت بالقرن الرابع فى نفس المكان . والظاهر بأن هذا الترجمان قد وجد ممرا ولكنه غير قبر الاسكندر وربما كان أحدى هذه الصهاريج المنتشرة بهذا المكان

خريطه لموقع المنطقة الاثريه التي يدور حولها البحث



خريطه الموقع



ويتضح بأن قبر الاسكندر موجود بمنطقة السيا ولكنه

(١٨) معجم البلدان
(١٩) المواعظ والاعتبار
(٢٠) تحفة الأحباب

ليس تحت المسجد لأن المسجد وأساسه وطراز مبانيه إسلامية ، ورغم أن شكل المقبرة والمسجد قريب من الطراز الاسلامى فالدكتور بريشيا يرجع أصل المسجد إلى تلك الكنيسة الرومانية القديمة، ولذا كانت مؤثرات المسجد المعمارية غريبة من الفن الاسلامى

أين مكان القبر الآن بالضبط ؟

بالرجوع إلى أصول (٢١) تخطيط مدينة الاسكندرية الذى أجراه دينوكرات والمقارنة بآراء المهندس هيبوداموس فى ذلك الفن ومن التطبيقات والآراء التى (٢٢) بحثها الأثريون عن احتمال وجود المقبرة فى مركز المدينة — نجد أن الإسكندر دفن فى منتصف المربع الذى يطل على منتزه بيبوم من الجهة اليمنى — ومكان القبر حاليا المربع الذى تدخل فيه الحديقة الصغيرة التى بآخر شارع النبى دانيال وجزء من الشارع وشارع كنج عثمان حتى مبانى مصلحة التليفونات ثم منطقة شارع عبد المنعم وما وراءها . ومن الاستناد إلى الآثار وبقايا المبانى التى عثر عليها عند تخطيط ميدان المحطة والميدان والباقى جزء منها — بقايا أعمدة تحت تلك الحديقة — يتضح بأن واجهة المعبد كانت منتزه وميدان محطة مصر التى هى منتزه بيبوم . أما مجموعة الأعمدة التى بجوار مسجد سيدى عبد القادر فإنها تكون (أوبيستودوم) Opisiodome الذى كان يقام به الطقوس الدينية ، ومن المحتمل أن تكون جزءا من البهو والأروقة الدائرية التى كانت حول المقبرة . (والتى كان يقوم بها الكهنة الذين يخدمون المقابر الملكية) والبقايا الموجودة على يمين المقبرة بالمطازين وشارع محطة مصر القديمة وشريف على بقايا مقابر الملوك السبعة

ومن وصف المقبرة الذى أوضحه استرابون يتضح بأن الضريح والمعبد يقارب طراز (٢٣) معبد البارثينون من حيث الفناء المربع وأن السلم المرتفع الذى يتبعه البهو مباشرة يشابه معبد la fortune virile theseion فى طرزه

هذا هو رأيى وقد يكون على خطأ ولكن فيه أجزاء كثيرة على صورة صحيحة

وهناك رأى له وجاهته اضطررت إلى التحقق من مناهج بحثه ودراسته ويقدمه المهندس السكندرى جان نيقولا بيدس. وهو « أن قبر الإسكندر ليس فى منطقة السيما إذ ليس من المعقول وجود مقابر الملوك فى حى الأعمال بالقرب من التياترو والسوق والمكتبة والجنازيوم بل هو فى حى الدلتا (حى الدلتا) الشرق بالقرب من الباب الكانوبى حيث معابد إيزيس وضريح مثلا رنيوتيس وتمبزيس حيث المقبرة الشرقية المشهورة بالقرب من قبر كليوباترة وأنطونيوس كما يذكرنا به ديوكاسيوس »

وقد استند المهندس على أدلة فى تاريخ هندسته من تاريخ تخطيط المدن القديمة بعد دراسة عشرين عاما وقد استعان بقول استرابون السالف الذكر « أن قبر الإسكندر على يمينى عند دخولى المدينة» والذى يعضد رأيه أن المصادر التى استعان بها تذكر لنا أن القبر بالقرب من قبرى كليوباترة وأنطونيوس القريبة من معبد إيزيس الموجود برأس لوكياس (السلسلة حاليا) حيث مقابر ضاحية اليوسيس والحى الملوكى وحيث مقابر الأكابر والعظماء . فهل من المعقول دفن الإسكندر فى منطقة السيما البعيدة فى داخل البلاد بالقرب من السوق ؟ أم بالقرب من مدخل المدينة ألا وهو الساحل

وإن رأيه في قول استرابون يمكن تطبيقه على مكان القبر بالقرب من مدخل المدينة من الجهة اليمنى إن دخل عن طريق البر، والمعروف عنه أنه دخل عن طريق البحر لاستعماله فى الوصف.. البحر جدا شماليا لها . وقد عين المهندس مكان المقبرة بالشارع الذى يفصل مقابر الكاثوليك عن الأروام بالشاطبي

وإن العثور على قبر صديق للاسكندر وقائد من قواده بتلك المنطقة والعثور على مقابر فى سنة ١٨٦٦ بالقرب من الباب الكانوبى اللاصق لسور المدينة القدونى فى الشمال الشرقى حيث معابد دميتر الذى بناها بطليموس الثانى والتى تخص الميموثين الدينيين واكتشاف مقابر لأكابر الجندق نفس المنطقة محفورة فى الصخور ومكتشفها هومارث دينيسيون ١٨٩٤ والكونت دى زغيب ١٨٩٢ تؤيد قول الأستاذ نيقولا بيدس — وإن كان لم يعتمد على تلك المراجع — من أن المقبرة الشرقية جزء من مدافن العظماء لأنها المكان القانونى للدفن حسب الطقوس والتقاليد اليونانية..

21. Suard Essais sur l'indendification des monuments d'— Alexandrie 1895

22. Gauthier un nouveau decret trilingue stalémaque paris 1932 Gardiner obymfia oxford 1925

وهذه الآراء تؤيد رأيه نظريا ولكنها ليست أدلة يقينية واضحة بل نظريات هندسية استنتاجية ، فإن كانت تتطابق في مدن أخرى . فإن ظروف مدينة الإسكندرية من حيث الظواهر الطبيعية تخالف ذلك . فأرض المدينة رملية — فأنى للبنائين القدماء حفر تلك المقابر العظيمة في باطن الأرض والتي أصبحت من الشروط الأساسية في طقوس الدفن عند البطالسة والرومان

وهناك رأى آخر لا أجد بدا من سرده ، هو أن المستر ألن رو مدير متحف البلدية سابقا يرى أن الاسكندر دفن بالمقبرة الغربية حيث المدينة الرومانية، وقد أخبرنا استرابون بأن تلك المنطقة كانت مروجا ترعى فيها القطعان. وأظن أنه ليس هناك أدلة منطقية تعضد هذا الرأى. والأمر الطريف أن الأستاذ ألن ويس يقول إن الإسكندر دفن في منطقة مسجد العطارين واستشهد بالعثور على تابوت منهوب) ولم أجد عبارة أخرى مخففة أقدمها للقارئ) ومسروق من إحدى مقابر ملوك الأسرى الثلاثين ودفن به فكأن الإسكندر ذلك الفاتح الجبار افتقر إلى تابوت من الحجر فما بالك بتابوت من الذهب

هذا هو مجمل الآراء التي قدمتها ومن ضمنها رأيي . وعساى أن أكون قد وفقت في المساهمة في كشف النقاب عن قصة قبر الإسكندر ، تلك الألغاز المجهولة لمؤسس مدينتنا المحبوبة الاسكندرية . ثم هذه هي مشكلة قبره الذي أبى علينا الزمان التشرف بمعرفة أخباره فما بالك برؤيته

المراجع الفنية

(١) مجموعة كبيرة من الخرائط عن المدينة القديمة من ممتلكات قسم الخرائط بمكتبة الفنون الجميلة بمتحف فاروق الأول للفنون الجميلة المتحف الروماني

(٢) الحفريات التي أجريت بالمدينة منذ ١٨٥٠

عبد المنعم مختار

هلن كلر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحداد

حقا أن هلن كلر الدكتورة في العلم والفلسفة أعجوبة أمريكية تفوق جميع عجائب أميركا التي هي مجموعة عجائب العالم في هذا العصر

هذه مرأة مرضت في النصف الأول من عامها الثاني ففقدت جهازي عصبها البصري والسمعي فأصبحت عمياء صماء بكماء. بكماء لأن الإنسان لا يمكن أن يتكلم إذا لم يسمع ، يعني أنها فقدت الحاستين الرئيسيتين من حواسها الخمس ، فلم يبق لها إلا الذوق وهو حاسة بنذر أن تستفيد منها في التفاهم ، وحاسة الشم وقد تستفيد منها جزءاً يسيراً جدا من الفهم والتفاهم . وحاسة اللمس أو حاسة التحسس في أناملها وكفيها وظاهر جسمها . ولذلك انتقلت حاستا البصر والسمع إلى أناملها وكفها وسائر بشرتها ثم إلى جميع بدنها . فأصبح التحسس هو الشعور الرئيسي عندها ، وإنما كان لها من قوة العقل وشدة الذكاء ما يمكنها أن تقرأ وتكتب (بقلم الرصاص) ، وأن تقرأ في كتب العميان بلمس الحروف الناتئة وأن تقرأ نقرامن أصابع معلمتها وسائر أهلها وذويها ، وتخاطبهم بحركات أناملها على أكفهم . وأخيرا تعلمت أن تلفظ الكلمات التي يفهمها الذين يلازمونها ويباشرونها

هذا ما يدهش له الناس في الغرب والشرق ويعجب به الأميركان وهم منشئو أميركا الحديثة أم العجائب ، فلا بدع إذن أن ندهش نحن إذ نرى هذه المرأة وهي تخاطبنا عن يد سكرتيرتها وأن لا يصدق بعضنا أنها عمياء صماء ، وأن يظنوا أنها ألعوبة أميركية للدعاية ، وليس في الدنيا فكرة أسخف من هذه الفكرة

أجل هي أعجوبة الزمان . وربما كان أعجب منها أو مثلها عجبا معلمتها السيدة سوليفان التي لازمتها ١٦ سنة إلى أن أخذت درجاتها العلمية العالية

مس سوليفان مولودة في سبرنفيلد من ولاية كاستشوتس التي فيها مدينة بوسطن المشتملة على جامعة هرفرد المشهورة . وهذه السيدة في أول عمرها أصيبت بمرض أفقدها بصرها ، ولكنها لم تدخل معهد العميان إلا في الرابعة عشرة من عمرها . وبعد حين عاد إليها بعض بصرها ، وبقيت في المعهد إلى أن أتمت علومها وبدا منها ذكاء حاد باهر ، وقدرة فائقة على التعلم والتعليم ، وبعد نهاية دراستها اتفق أن طلب الكبتن آرثر كلر أبو هلن إلى الأستاذ أجنوس رئيس هذا المعهد يرجو منه أن يرشده إلى معلمة لابنته ، فأرشده إلى مس سوليفان هذه

والكبتن آرثر كلر من قرية توسكومبيا من ولاية آلاباما وله هناك أملاك واسعة يستغلها . وله غير هلن ابن يدعى تجايمس وابنة صغرى تدعى ميلرد . وزوجة تدعى كايت أدمس وقد تزوجها أرملا وهو أكبر منها سنا

ورحبت أسرة كلر بسوليفان ترحابا حارا . وكانت هلن بين الخامسة والسادسة من عمرها ، فرأتها مس سوليفان طفلة مملوءة حياة وعافية ، جميلة الطلعة مشرقة المحيا ، ولها عينان كأنهما نرجستان ، ليس فيهما عيب (لأن العيب في المركز البصري في الدماغ) ورأت أنها كثيرة الحركة تجري من مكان إلى مكان بلا انقطاع . وتلمس كل شيء ولا يندر أن تكسر الآنية التي تعبث بها أو تتلف المتاع الذي تمسكه

في أول الأمر تهيبت مس سوليفان تربية هذه الطفلة وتعليمها . ولكن لما لها من دراية بهذا الصنف من الناس الناقص الحواس وما لها من الحذق في تربيته ، وما استشفته من الذكاء في هلن عزمت على أن تجعل منها إنسانا فائق الخواص والصفات ، وقد جملت

رأت أنها صعبة المراس جدا شديدة القدرة بالغة النشاط ، وأنها ما دامت بين أهلها يصعب ترويضها وتدميثها ، فانتقلت بها إلى منزل صغير لأهلها في أرض لهم لا تبعد أكثر من ميلين عن توسكومبيا ، وأقامتا وحدهما هناك ، وكان الطعام يرسل إليهما من البيت كل يوم ، ولكنهما ما لبثتا هناك أكثر من أسبوعين فعادتا إلى البيت

ورأت سوليفان أن تطويعها بالقوة والعنت يزيدها شكاسة وعنادا وشراسة فقررت أن تملكها بالمحبة ، فكانت تهبها كل يوم ما توده من كعك وفاكهة ولعب أطفال ، وكان أهلها يتفاهمون معها بإشارات تعودوها ، فتحسنت عشرتها قليلا . وقررت المعلمة أن تعلمها الحروف الأبجدية بكتابتها على كفها بأصابعها ، وأول كلمة أدخلتها في عقلها بالكتابة كلمة لعبة doll إذ رسمت الحروف على كفها ثم أعطتها اللعبة . ثم أخذت اللعبة منها وجعلتها تطلبها بكتابة الحروف على كفها (كف المعلمة) ثم كتبت المعلمة بأصابعها على كف هلن كلمة «كعك» وأعطتها كعكة ، وهكذا فعلت في إعطائها اللبن ووعاء اللبن الخ

وكان لهلن ذكاء عجيب فما علمت كلمة إلا حفظتها حالا ولا تنساها ، الأمر الذي سهل على المعلمة مهمتها جدا . وبدأت هلن تفهم أن لكل شيء اسما يرسم على كفها . ثم شرعت تعلمها الأفعال مثلا : شرب ، أكل ، جاء ، راح ، فكانت إذا جاءت ترسم على كف معلمتها كلمتي : «لبن . هلن» فتصحح المعلمة الجملة هكذا : «هلن تريد لبنا» ثم «هلن تريد أن تشرب لبنا»

على هذا النحو نجحت المعلمة في تعليمها في شهر واحد مئة كلمة ، وما وجدت صعوبة إلا في تعليمها الأسماء المجردة عن المادة كالحب أو الشر أو الطيب أو السرور . وفي آخر السنة كان رأس مالها تسعمائة كلمة ، وهو قدر كاف للتفاهم والتدرج في كسب كلمات أخرى

وعلمتها في خلال ذلك قراءة كتب العميان الابتدائية ثم الكتب الأخرى فنجحت بسرعة فائقة حتى صارت تقرأ الكتب الراقية . ثم علمتها أن تكتب حروف العميان بواسطة الآلة الكاتبة للعميان فبرعت عاجلا وصارت تكتب بها ما تريد أن تقوله

وماذا يمنع أن تستعمل الآلة الكاتبة التي يستعملها المبصرون ، فما لبثت أن صارت تكتب بها ما كانت تكتبه على الكف ، صار هذا بعد أن دخلت معهد بركنز للعميان

أما كيف صارت تكتب بيدها بقلم الرصاص الكتابة التي يكتبها الناس فأنقل رسالتها بهذا الصدد إلى مجلة سنت نيكولاس في يونيو سنة ١٨٩٢ وكان عمرها حينئذ ١٢ سنة

« عزيزي محرر مجلة سنت نيكولاس

« يسرني جدا أن أرسل إليك خط يدي لأني أود أن يعرف الصبيان والبنات المبصرون الذين يقرأون مجلة سنت نيكولاس

كيف يكتب العميان . وأظن أن بعضهم يستغربون كيف نكتب السطر معتدلا لا اعوجاج فيه . عندنا لوحة مسطرة سطورا منخفضة قليلا نضعها بين الصفحات حين نكتب . فالخطوط المتوازية في اللوحة تجرى عليها السطور . فحين نضغط بقلم الرصاص على السطر المنخفض يبقى السطر معتدلا . فنرسم الأحرف الصغرى في القلم المنخفض والأخرى المرتفعة ترتفع إلى فوق القلم والأخرى ذات الذيول إلى تحت القلم . نمسك القلم باليد اليمنى ونرشدها بإبهام اليد اليسرى لكي نعلم أننا نرسم الحروف في مواقعها بلا ضلال . في بادئ الأمر تصعب الكتابة جدا على هذا النحو ، ولكن بالممارسة والمواظبة تصير سهلة جدا ، وحينئذ يمكننا أن نكتب رسائلنا إلى ذوينا وأصحابنا . إن الذين يزوروننا يودون أن يروا الطلبة العمى كيف يكتبون »

وقد نشرت مجلة آخر ساعة نموذجا من خط هلن فكان آية في الإتقان والجمال واعتدال السطر

ولم تدع المعلمة سوليفان وسيلة للتفاهم إلا علمتها إياها . ومن ذلك أنها علمتها نطق الكلمات وإن كانت لم تسمعها ، وطريقتها أنها تضع أصابعها على فم المتكلم وإبهامها على حنجرته وتجهد بعد ذلك أن تقلد حركات فمه وحنجرته فتصدر اللفظ مشابها لصوت المتكلم ولكن ليس بوضوح تام . وهذا يستلزم أن تعرف كل كلمة صوتية تقابل الكلمة المخطوطة بحروف العميان أو المنقورة على كفها بأصابع معلمتها ، ولا يخفى ما في هذا من العنت والصعوبة ، ولكنه يقضى حاجة أحيانا . فأحيانا تتكلم هلن جملة لا يفهمها السامعون ولكن معلمتها أو سكرتيرتها تفهمها وتقولها للسامعين . وقد تعلمت هنا في مصر أن تلفظ جملة « السلام عليكم »

قرأت كتابها « قصة حياتي » ، وهو يشتمل على ثلاثة أقسام : —

الأول تاريخ حياتها ، والثاني معظم رسائلها التي أرسلتها لأساتذتها وصواحبها وذويها بخط يدها بالحروف المعروفة على الطريقة المشروحة آنفا . والقسم الثالث تقارير المعلمة مس سوليفان التي كانت ترسلها كل حين بعد آخر إلى مس صوفيا هوبكنز الموظفة في معهد العميان ومنها تتصل بالأستاذ أنا كنوز مدير المعهد . وهذا القسم هو أقصر الأقسام الثلاثة ولكنه أهمها لأنه تبسيط لكيفية تعليم هلن ووصف لسلوكها وأعمالها

ولما نجحت مس سوليفان في التفاهم معها بالأصابع وبالكتابة وبالضرب على الآلة الكاتبة للعميان أدخلتها إلى معهد بركنز للعميان . وبقيت تلازمها حتى انتهت من العلم هناك . وإذا كانت تضرب الكلام على آلة العميان الكاتبة فلا مانع من أن تضرب الكلام بالكتابة العادية على التيب ريتر الذي نستعمله نحن

نعم إن هلن محرومة حاسة السمع ولكن جسمها يحس باهتزازات الأصوات وبارتجاجات الدوى فهي من هذا القبيل أرهف إحساسا من السامعين والمبصرين

في ذات يوم حضرت سباق كرة القدم بين جامعتي هرفرد وبايل ، وتقول في إحدى رسائلها إنه كان في ذلك المكان نحو ٢٥ ألف نفس . وكانت تحس بدوى التصفيق الهائل . قالت كدنا نخرج من جلدنا لشدة وقع الدوى علينا . وكنا نظن أننا في ساحة حرب

وفي يوم أحد كانت هلن ومعلمتها في نيويورك وحضرتا الصلاة في كنيسة القديس برتولومبيوس . وكان الواعظ دكتور جرنر يتكلم ببطء وكانت سوليفان تنقل إليها كل كلمة تقريبا . وبعد نهاية الصلاة طلب هذا الواعظ إلى المستر ورن الذي يعزف على الأرغن أن يعزف شيئا لأجل خاطر هلن . ووقفت هلن في وسط الكنيسة تماما حيث تكون ارتجاجات ذلك الأرغن العظيم قوية . تقول هلن : وكنت أحس أمواج صوت الأرغن تصدمني كما تصدم أمواج البحر السفينة

ويوم كان أهل هلن ينتظرون المعلمة سوليفان كانت هلن تشعر بحركة غير اعتيادية في البيت وأن هذه الحركة لاستقبال شخص . وإذا كان أبوها قادما في عربته تشعر بقدومه . كان إحساسها البدني يفوق إحساس البشر . وهنا في مصر كانت تعرف حين يصورها المصورون لأنها كانت تشعر بصدمات النور اللامع لوجهها وبدنها ... وسئلت مرة كيف تشعر بالتصفيق الشديد فقالت أحس الأرض تميل تحت قدمي

وفي معهد بركنز استعدت هلن للدخول في كلية ريدكليف لكي تدرس بكالوريوس علوم ، فكتبت إلى رئيس الكلية أن

الأمثال في حياة اللغة

للأستاذ حامد حفني داود

— ٢ —

عرفنا أن الأمثال ولغة الحديث توءمان . وأن هذين التوءمين — وحدهما — استطاعا أن يسايرا الحياة على ما فيها من خير وشر ، وما فيها من فصاحة مقبولة وهجنة ممقوتة ، ثم هما استطاعا أن يكشفا عن أصول العربية الفصحى تارة ويحملا رواسب العامية الإقليمية الطارئة تارة أخرى ، ثم هما إلى جانب هذا وذاك يستجيبان للحياة ويعيشان في نفوس الناس ، ويمثلان كل ما طرأ على اللغة من نماء مطرد وتطور مستمر يدل دلالة قاطعة على أن اللغة كائن حي يعيش ويتطور كغيره من الأحياء

إذا عرفنا كل ذلك فإننا بلا شك نستطيع أن نحدد موقفنا من العربية إذا أردنا أن نأخذ بزمامها ، وأن ندفعها إلى الصف الأول الذي كانت تحتله في صدر الإسلام — يوم كان القرآن وكانت الفصحى وقبل أن تختلط بالعجمي وتصاب بما أصيبت به من رواسب اللغات الإقليمية سواء في مقاطعها وإعرابها وتراكيبها

فقد هبطت اللغة العربية — بعد أن خرجت من الجزيرة — في أقاليم جديدة لم يتكلم أهلها بالعربية من قبل . وانتشرت في هذه الأقاليم بسرعة عجيبة لم يعهد تاريخ اللغات مثلها . وساعدها على هذا الانتشار أنها كانت تحمل لواء الدين الجديد في يمينها ، والانقلاب السياسي والتحول التاريخي الأكبر في يسارها . ولكن هذا الانتشار — على الرغم من كل هذه السرعة — لم يتم في يوم وليلة وإنما كان نتيجة تفاعل مستمر بين اللغتين « الغازية » و « المحلية » دام وقتا من الزمن تحققت فيه الغلبة — تارة — للغة الغازية التي فرضت نفسها في مصر وبلاد المغرب وتخوم العراق والشام ، على حين استمسكت أقاليم أخرى كالهند وبلاد فارس بلغاتها المحلية بعد أن اعتصمت بعوامل كثيرة حفظت لها طابعها القديم وأبقت عليها كيانها وثقافتها . وهي عوامل كثيرة نترك الحديث عنها إلى موضوع آخر يتعلق بطبيعة اللغة ومقوماتها ، ولكن الشيء الذي لابد من ذكره أن العربية استطاعت أن تترك أثرها في كلتا الحالتين لأن « الأثر » نتيجة حتمية لـــ « المؤثر » مهما كان ضعيفا ، كما أن « التفاعل الكيماوي » نتيجة حتمية لـــ « المواد القابلة للتفاعل » مهما اختلفت كيانها

ففي مصر تغلبت العربية على اللغة القبطية ثم تفاعلت بلغات أخرى كالفارسية والتركية . ولا زلنا نرى آثار هذه اللغات في (العامية المصرية) . أما في العراق فقد كانت رواسب الفارسية أعمق وأشد ظهورا في عاميتهم . على حين نرى شيئا من آثار التركية وقليلا من السريانية في بلاد الشام

ونحن إذا تتبعنا أقاليم الصنف الثاني التي لم تغزها اللغة العربية غزوا تاما رأينا أنها خضعت بالمثل لنظرية (المؤثر والأثر) وهذا على الرغم من قوتها السياسية ، وعلى الرغم من ابتعادهـــا عن مركز الثقافة العربية . فأنت ترى أن اللغة الفارسية القديمة التي تسمى (الفهلوية) تتطور بسبب هذا التفاعل وتبدو في ثوب جديد هو (الفارسية الحديثة) . وقد أثبت البحث اللغوي أن ستين في المائة من ألفاظها عربي صرف . كما ترى أن اللغات الهندية التي تمت بصلة إلى الفصيلة (السنسكريتية) نالت ما نالته أختها من الأثر فظهرت إحداها في ثوب جديد هو (اللغة الأردوية) . وإن ما اشتملت عليه الأردو من ألفاظ عربية لأكبر دليل يؤيد استمرار هذا التفاعل

البقية في العدد القادم

يسمح بحضور مس سوليفان معلمتها معها لــكي تنقل إليها الــكلام والأسئلة . وهي تقدم الأجوبة مكتوبة على الآلة الــكاتبة . فسمح ، ولــكن لما كانت تتقدم للامتحان لم يسمحوا لمس سوليفان أن تترجم لها .. بل كانوا يقدمون لها الأسئلة مكتوبة بلغة العميان على الآلة احترازا من أن تدس مس سوليفان لها بعض ملاحظات . ما دخلت هلن امتحانا إلا خرجت فائزة

نقولا الحداد

وإذا كانت الأمثال — كما قدمنا في المقال السابق — تلونت بالبيئة وتطورت مع الزمن كما تلونت لغة الحديث وتطورت تماما — أدركنا بوضوح ما بين الأمثال ولغة الحديث من سمات عجيبة كشفها أمامنا الاستقراء ولم نصنعها صنعاً أو نبتدعها ابتداعا ، ثم إذا كانت الأمثال — وحدها من بين فنون النثر — هي التي استطاعت أن تستمر مع الزمن وتلين لهذا التفاعل الدائم كما استمرت ولانت لغة الحديث — كان خليقا بنا أن ندرك وجوه الشبه بينهما وأن نقف عندها وقفة المصلح اللغوي الذي يتلمس الطريقة المثلى في النهوض بأمر اللغة ، وإن موقف المصلح اللغوي هنا يشبه تماماً موقف العالم الطبيعي الذي يتوسل إلى معرفة الشيء بشبيهه . ويقيس ما غمض عليه من المسائل بما وضح أمامه منها حتى يصل من البسيط إلى المركب ، أو قل هو كالطبيب المجرب الذي يستخدم دماء الأصحاء في حقن أجسام المرضى من بني الفصيلة الواحدة

والأمثال — عنده — هي النص الأدبي الحي الذي لم يعتوره الجفاف أو يلحق به الجمود أو تحجبه الصنعة أو يحول فيه التكلف والتمحل دون تذوق الناس له سواء الخاصة منهم والعامة . فما أشد حاجة ذلك المصلح إلى أن يتخذ من مادة ذلك النص المصل الواقي الذي يعيد به الحياة إلى رميم هذه الفنون اللغوية الأخرى إذا أراد أن يرفع من مستوى تعليمها ونشرها

وهكذا يصبح تعليم الأدب في مدارس المرحلة الثانية بأنواعها قاصراً عن أداء الرسالة التي ننشدها من تذوق النص الأدبي ما دمنا لا نعالجه في هذه الصورة الحية . بل إن تدريس الأدب للناشئة في صورة ما يشرح لهم من جيد الشعر والنثر يعتبر دراسة كلاسيكية تقليدية لا تصلح لهذه المرحلة من التعليم، لأن الصلة بين هذه النصوص وبين نفوس التلاميذ تكاد تكون مفقودة ، بعيدة كل البعد عن متناول مداركهم . وهي صورة بتراء لا تحقق الجانب العملي المقصود في الدراسات الأدبية الحية — إلا إذا أردنا أن نخرج ناشئة يستوعبون ولا يتذوقون، ويفهمون الفكرة فهما عابراً ولا يمارسونها ممارسة عملية . إن مثل هذه الدراسات لا يمكن بحال أن تخرج أديباً إنشائيا يعالج الفكرة الأدبية ويواجهها في حيز حياته وبيئته، ولكنها تخرج ببغاء يردد ما لا يفهم وإن فهم شيئا أو عالجه فهو بسفاد الغراب أو بالكبريت الأحمر أشبه

* * *

وهنا يحق لك أن تسألني : وما علاقة تدريس الأدب بالأمثال في حياة اللغة ؟ وكيف تستغل هذا الفن في تدريس الأدب لتلاميذ هذه المرحلة — إن كانت هناك علاقة

أما عن علاقة الأمثال بفنون اللغة وآدابها فلا سبيل إلى تكراره بعد الذي ذكرته لك من صلات وطيدة بين لغة الحديث والأمثال والحياة . بينما تحس بخطورة البحث وأهمية التطبيق حين تفكر في هذا الفن وتبحث فيه على أنه وسيلة من وسائل إصلاح اللغة والنهوض بآدابها . وهي في المدرسة غير المجتمع العام

ففي المدرسة أرى أن تستغل دراسة الأمثال العربية الأصيلة في الفصول الأولى من مدارس هذه المرحلة . ويرجع المدرس في ذلك إلى الكتب المعتمدة في هذا الباب ككتاب الأمثال للميداني . ويلتقط منها بقدر الطاقة ما يقابل الأمثال العامية في معناها ومبناها ومرماها . ويستطيع المربي الحصيف أن ينجح في تدريس الأدب العربي في هذه الصورة نجاحاً محققا ؛ وأن ينهض بالثروة اللغوية والأدبية للأسباب الآتية :

١ — أن نصوص الأمثال في ذاتها سهلة ميسورة مهما التوت مفرداتها اللغوية ؛ لاتساع معناها وجرس مبناها ، ولأن لها في الغالب ما يقابلها من الأمثال العامية ولو من ناحية المعنى والمرمى

٢ — أن الناشئة في هذا المقام يحاطون بجو عربي خالص ، وذلك حين يعرض المدرس إلى دراسة ما حول « المثل » من تاريخ وأحداث طريفة دعت العربي إلى إرساله في هذه الصورة وهو في بيئته العربية

٣ — وبقدر ما يكون الحديث عن الأمثال وأسباب إرسالها قريباً من جو القصة ـ يكون نجاح المدرس في دراسة نصوصها ، لأن التلاميذ في هذا الدور حديثو عهد بدراسة

القصص في مدارس المرحلة الأولى . وطبيعة الأمثال وانتشارها في بيئتهم تغريهم بحفظها واستعمالها في مواضعها من الكلام ، وتحملهم على تتبع مايقوله المدرس وما يصطنعه من إثارة المشكلات خلال هذه الدراسة . وفي ذلك نجاح كبير وتحقيق الأهداف التي تدعو إليها التربية الحديثة . وهو علاج الفكرة في حيز الحياة نفسها !

٤ — وأخيراً يستطيع المدرس في دراسة نصوص الأمثال على الرغم من ضآلة طولها أن يحقق من الفائدة مالا يستطيعه في تدريس درس من الشعر أو فن من فنون النثر الأخرى ، لأن هذه الأمثال تعتبر درساً في الحياة الاجتماعية عند العرب ودرساً في التاريخ ودرساً في الأساليب العربية ودرساً في مفردات اللغة — بالإضافة إلى إحياء تراثنا الأدبي القديم

وإذا زود التلاميذ بدراسة النصوص الأدبية في هذه الصورة ومرنوا على هذا النوع من التذوق سهل عليهم أن يتذوقوا نصوصاً من الشعر والنثر في السنوات المقبلة . كما يستطيعون بعد ذلك أن يزودوا بمجالة من النصوص تمثل تطور التاريخ الأدبي في كل عصر . وعند ذلك يتحقق الغرض المقصود من تدريس الأدب في هذه المرحلة — الذي يهدف إلى التذوق ومتابعة البحث

* * *

ذلك في المدرسة . . أما في المجتمع فيتسع مجال الإصلاح ويتضاعف واجبنا في النهوض بحياة إخواننا العامة : الفكرية والأدبية . ولدينا من إقبال عامة المثقفين على القصص وكتب الأدب ما يشجعهم على رفع مستوى العامية وينهض بها حتى تصبح أقرب إلى الفصحى مما كانت عليه بالأمس القريب . ولن يكون ذلك إلا بعلاج لغة الحديث من الطريق الحساس الذي يميل إليه العامة وتألفه نفوسهم .. ألا وهو «الأمثال العامية» فنقدم إليهم قصصاً مبسطة يزودون فيها بهذه الأمثال . والكاتب البارع هو الذي يستطيع بلباقته أن يصل بين حاضر الأمثال العامية وغابرها ، وأن يقرب أذهان القارئين من أصولها الفصحى حتى إذا حقق هذا الغرض أخذ بأيديهم إلى متابعتها في كتب الأدب . وهذا واجب كتاب القصة في مصر وواجب المتأدبين من علماء النفس

ومن هنا تتقارب الخطى وتسد الثغور وترمم الثلمات ويرأب الصدع ونقف من الطبيعة موقف الحكيم المتفنن الذي يستطيع بلباقته أن يتحكم فيها وأن يوجهها توجيهاً علمياً لا يتنافى مع قوانينها . أريد أن أقول : إننا بهذا القدر نستطيع أن نوجه النماء المطرد في اللغة العربية ككائن حي ، وأن نقوم من اعوجاجها في نفوسنا — لا في ذاتها — وذلك العمل جدير بالتنفيذ ، وهو أعظم مما نقوم به اليوم من تعريب وتصويب

حامد حفني داود
أستاذ اللغة العربية والتربية بمدارس المعلمين

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

— ١ —

توطئة

يعلم قراء «الرسالة» الزاهرة مدى إعجابى بشعر أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى بك ، ويعلم القراء الكرام أيضا تعصبى له وتفضيلى شعره على شعر غيره من الفحول الكبار ، ومن تحصيل الحاصل قولى أن نهضة مصر الأدبية الحديثة قامت على أكتاف ثلة نادرة من أفذاذ الرجال ، كان على رأسهم شوقى الذى استطاع بما وهبه الله من عبقرية ملهمة وقريحة وقادة وعلم غزير، أن يثب بالشعر العربى إلى قمة الإبداع ، بعد أن كان محنطا بقوالب من المحسنات اللفظية السخيفة ، فهو بحق الحد الفاصل بين موت الشعر وحياته ، لأنه رحمه الله لم يكن كغيره من شعراء القريحة ، أمثال الرصافى وحافظ ، يعتمد على محصوله اللغوى من الألفاظ والمرادفات ، ومحفوظه من عيون شعر من سبقوه من الأفذاذ ، كزميله سامى البارودى ، بل كان نسيج وحده ، وطرازا لا شبيه له ، لأنه كان يغترف من بحر خضم متلاطم الأمواج ، هو بحر العبقرية والإلهام والنبوغ ، ولو لم يكن كذلك لما تقدم شاعر النيل لمبايعته هاتفا :

أمير القوافى قد أتيت مبايعا   وهذى وفود الشعر قد بايعت معى

ولا أجد فى معرض الحديث عنه وعن شعره أصدق ولا أكمل من قول المرحوم الرافعى ؛ إذ قال فيه : (١)

« هذا الرجل انفلت من تاريخ الأدب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحابها المتسائر فى الجو ، فأصبحت مصر به سيدة العالم العربى فى الشعر ، وهى لم تذكر فى الأدب إلا بالنكتة والرقة وصناعات بديعية ملفقة ، ولم يستفض لها ذكر بنابغة ولا عبقرى . ولولا البارودى وصبرى وحافظ فى المتأخرين وكلهم أصحاب دواوين صغيرة لما ذكرت مصر بشعرها فى العالم العربى . على أن كل هؤلاء لم يستطيعوا أن يضعوا تاج الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقى وحده

كل شاعر مصرى هو عندى جزء من جزء ولكن شوقى جزء من كل . والفرق بين الجزءين أن الأخير فى قوته وعظمته وتمكنه واتساع شعره جزء عظيم كأنه بنفسه الكل . ولم يترك شاعر فى مصر قديما وحديثا ماترك شوقى ، وقد اجتمع له ما لم يجتمع لسواه ، وذلك من الأدلة على أنه هو المختار لبلاده فساوى الممتازين من شعراء عصره وارتفع عليهم .. إن شوقى من النفس المصرية بمنزلة المجد المكتوب لها فى التاريخ بحرب ونصر .. الخ »

وإلا فدلونى على شاعر غير شوقى تمكن أن ينظم فى كل الفنون والأبواب فيجيد ويبدع ؟ أنا أعلم أن أكثر الشعراء يجيدون فى لون من ألوان الشعر فيشتهرون به كما حدث بالفعل . فأبو نواس مثلا أجاد فى الخمريات وأبو العتاهية فى الزهديات والنابغة فى الاعتذارات والمتنبى فى الحكمة وهكذا .. أما أن يجيد الشاعر فى كل باب فهذا لم يحدث فى تاريخ الشعر العربى قط ولم يتح منذ الجاهلية حتى الآن إلا لشوقى ؛ لأن شوقى لم يكن شاعر مصر فقط ولا العروبة وحدها ولا الإسلام خاصة ، بل كان شاعر الشرق كله أو قل الانسانية جميعها ، وهكذا يكون الشعراء العالميون الخالدون . وشوقى بعد هذا كله جمع فى رأسه ونفسه نفسيات جميع الشعراء وأفرغها بعد فحصها فى ثوب جديد خاص به ، وبذلك دل على أن أسلوبه لا يجاريه أسلوب ، حتى لتستطيع المتذوق لشعره أن ينسب كل ما قال من الشعر له حتى ولو خالط مدع ونسبها إلى غيره ؛ لأن ألفاظه وتعبيره وديباجته تنم عليه كما ينم العطر على الوردة ولو اختفت بين الأشواك ، وهذه ميزة قلما ينفرد بها أحد غير العباقرة الملهمين

وإذاً فمن تكرار القول وإعادة الحديث أن أبدى إعجابى بشوقى إلى هذه الدرجة من الإفراط والتطرف ، ومن التبجح أن أذكر ذلك ، ولكنى فى هذا الحديث مرغم لأنى أعجب غاية العجب من عدم عناية أدباء مصر بشعر سيد شعرائهم وخصوصاً شعره الذى لم يدرج فى كتاب ولم يضم إلى دواوينه الأربعة . ولما كنت

(١) حديث للمرحوم مصطفى صادق الرافعى نشر فى الجزء الرابع من المقتطف ١٩٣٢ وألحق فى الجزء الثالث من كتابه « وحى القلم »

أعتقد أن لشوقي قصائد كثيرة لم تنشر أخذت أمسى بجمع أكثر القصائد التي أعثر عليها في بطون الصحف الأدبية القديمة التي كانت تسعى إلى نشر ما يقوله أمير دولة الشعر وكرسى الأدب حتى تمكنت بعد جهد جهيد وسعي متواصل أن أحصل على عشر قصائد نشرت اثنين منها في الرسالة الغراء قبل عام وها أنا أتبعها الآن بقصيدتين من عيون شعره، على أن أقدم بعد ذلك ما لدى من شعره في كتاب صغير بعنوان «شوقيات لم تنشر» بعد أن أقدم لهذا الشعر مقدمة ضافية تليق بمكانة قائلة

عتاب لأنجاله:

لا أظن أن شاعراً في الدنيا أحب أنجاله وأولاده بقدر ما أحب شوقي علياً وحسيناً، والمتتبع لقراءة شعره يلمس حنانه لهما في كل ما تعلق به، حنان الأبوة الصادقة والقلب العطوف، فهل بعد ذلك الحنان بر أنجاله به، أنا لا أريد أن أتحامل عليهما إكراماً لأميرنا.. ولكني أود أن أقول ماسبب تقاعسهما عن جمع مالديهما من شعر في ديوان جديد؟ المال موجود لديهما والحمد لله! دور النشر ما أكثرها في مصر! ثم ما ذنبنا نحن المعجبين بشوقي وبشعره أن نحرم منه! أين إذن مسرحية «البخيلة» ومسرحية «الست هدى» وهما تمثلان ذلك العصر أصدق تمثيل؟!

أين شعر والدهما الباقي؟! إني أهيب بكل أديب عربي يحمل في قلبه ذرة من الحب لشوقي ولمصر أن يحث الأستاذين الكريمين وهما أكبر أنجاله على طبع روايتيه الشعريتين «البخيلة» و«الست هدى» ليسديا بذلك إلى المسرح والشعر يداً تذكر فتشكر. كما أطالب إخواني الأدباء الذين يحرصون على قراءة شعر شوقي في ديوان جديد أن ينشروا ما لديهم من شعره المنسي على صفحات الرسالة الزاهرة أو يرسلوه إلى لأضمه إلى مجموعتي كي أستطيع أن أظهرها للوجود في القريب العاجل إن شاء الله

الشوقية الأولى

قلت إنني عثرت بعد تنقيبي وبحثي في حنايا الصحف على بعض الشوقيات التي خلت منها دواوينه.. وأولى هذه الدفعات عثرت عليها في الصفحة «٢٧٠» من الجزء الرابع مجلد «٥» من مجلة «الزهراء» القاهرية لسنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م والتي كان يصدرها في مصر الأستاذ محب الدين الخطيب خال صديقنا الأستاذ علي الطنطاوي.. وهذه الدرة الشوقية نظمت في تكريم الشاعر الأستاذ المرحوم عبد الحميد بك الرافعي. . وقد قدمها محرر الزهراء بهذه الديباجة:

«أقيمت في طرابلس الشام حفلة تكريم عظيمة للشاعر الكبير الأستاذ عبد الحميد بك الرافعي في شوال الجاري «أي سنة ١٣٤٧ م» ألقيت فيها قصيدة أمير الشعراء»

فمن هو هذا الشاعر الذي كرمه شوقي؟

لم أجد للشاعر عبد الحميد الرافعي ترجمة أعتمد عليها ولكني وجدت في «مختارات الزهور» (٢) كلمة عن شعره هي:

«عبد الحميد بك الرافعي من أدباء طرابلس الشام المعدودين، وسليل أسرة عريقة في النسب. مشهور عن أفرادها العلم والفضل. أما شعره فشعر البداوة مع مسحة حضرية، فصيح الألفاظ، جيد التراكيب. له ديوان حافل بغرر المنظومات..» اهـ (٣)

ومن شعره قوله في «المشيب (٤)»

يا شيب عجلت على لمتي ظلماً، فيا ابن النور ما أظلمك
بدلت بالكافور مسكي وما أضواه في عيني وما أعتمك
من يقبل الفاضح في ساتر فهات ليلاك وخذ مربعك
فرك أن الشيب عند الورى يكرم، هل في الغيد من أكرمك
فليت أيام شبابي التي أرقتها غدراً، أراقت دمك

وإلى هنا أقف من الشرح لأقدم للقراء وخصوصاً المعجبين

(٢) الزهور مجلة أدبية علمية فنية كان يصدرها في مصر المرحوم أنطوان الجميل وأمين تقي الدين، ومختاراتها مجموعة تحوى قصائد لشعراء ذلك العصر مع صورهم. وقد طبعت المختارات بمطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩١٤

(٣) لم أعثر على الديوان الذي أشارت إليه المختارات، ومن كانت لديه ترجمة للشاعر الرافعي أرجو أن ينشرها في الرسالة خدمة للأدب والتاريخ

(٤) ص (١٦٢) من المختارات

بعبقرية أبي على الخالد قصيدة كاملة وهى اتى قالها فى تكريم الرافعى

أمرنى النجم أوهب لى يراعا   يزيد « الرافعيين » ارتفاعا
مكان الشمس أضوأ أن يحلى   وأنبه فى البرية أن يذاعا (٥)
بنوا الشرق الكرام الوارثوه   خلال البر والشرف اليفاعا (٦)
تأمل شمسهم ومدى ضحاها   تجد فى كل ناحية شعاعا
قد اقتسموا ممالكه فكانت   لهم وطنا من « الفصحى » مشاعا
هموا زادوه « القضاء » جمال وجه   وزادوا غرة « الفتيا » التماعا
أبوا فى محنة « الأخلاق » إلا   لياذاً فى العقيدة وامتناعا
أووا شيباً ، وشباناً إليها   تخالهمو « الصحابة » والتباعا (٧)
إذا أسد الشرى شبعت فعفت   رأيت شبابهم عفوا جياعا
فلم تر « مصر » أصدق من « أمين »   ولا أوفى إذا ريعت دفاعا
فتى لم يعط مقوده زماناً   شرى الأحرار بالدنيا وباعا
عظيم فى الخصومة ما تجنى   ولا ركب السباب ولا القذاعا (٨)
تمرس بالنضال فلست تدرى   أأقلاماً تناول أم نباعا (٩)
ويا ابن السابق المزرى ارتجالا   برواض القصائد وابتداعا
أما يكفى أباك السبق حتى   أتى بك أطول الشعراء باعا
شدا الحادى بشعرك فى الفيافى   وحركت الرعاة به اليراعا
وفات الطير ألفاظاً فحامت   على المعنى فصاغته صناعا
إذا حضر البلابل فيه لحن   تبادرت الحمام له استماعا
مشى « لبنان » فى عرس القوافى   وأقبل ربوة واختال قاعا
وهز المنكبين لمهرجان   زها كالباقة الحسنى وضاعا (١٠)

٥) ذاع الخبر انتشر
٦) اليفاع . التل المشرف أو كل ما ارتفع من الأرض وهنا أراد المشرف العالى
٧) التباع . الأتباع شبههم الشاعر بأتباع الرسول وصحابته
٨) القذاع . السب الفاحش
٩) النباع « نبع ونبعة » شجر تتخذ منه السهام والقسى
١٠) ضاع . الزهر فاح نشره

وأقبلت الوفود عليه تترى   كسرب النحل فى الثمرات صاعا (١١)
غدا يزجى الركاب وراح حتى   أظل « دمشق » وانتظم البقاعا
ترى ثم القرائح والروابى   تبارين افتناناً واختراعا
ربيع طبيعة وربيع شعر   تخلل نفح طيبهما الرباعا
كأنك بالقبائل فى « عكاظ »   تجاذبت المنابر والتلاعا
بنت ملكا من « الفصحى » وشادت   بوحدتها الحياة والاجتماعا
فسادت أمة عجباً وكانت   رعاة الشاء والبدو والشعاعا (١٢)

* * *

أمير المهرجان ، وددت أنى   أرى فى مهرجانك أو أراعى (١٣)
عدت دون الخفوف له عواد   تحدين المشيئة والزماعا (١٤)
وما أنا حين سار الركب إلا   كباغى الحج هم فما استطاعا
أقام بغبنه لم يقض حقا   ولا بل الصبابة والنزاعا (١٥)

* * *

« طرابلس » اتقى عطق أديم   وموجى ساحلا ونبى شراعا
كسا جنباتك الماضى جلالا   وراق عليه ميسمه وراعا (١٦)
وما من أمس للأقوام بد   وإن ظنوا عن الماضى انقطاعا
ألم تسقى الجهاد وتطعميه   وتحمى ظهره حقباً تباعا ؟ !
شراعك فى « الفنيقيين » جلى   وذكرك فى « الصليبيين » شاعا
كأنى بالسفين غدت وراحت   حيالك تحمل العلم المطاعا (١٧)
« صلاح الدين » يرسلها رياحاً   وآونة يصففها قلاعا (١٨)
أليس البحر كان لنا غديراً   وكانت فلكنا « البجع » الرتاعا (١٩)

١١) صاع . تتابع
١٢) الشعاع : المتفرق وقيل (طارت نفسه شعاعا) أى تفرقت
١٣) أراعى : أصغى وأستمع
١٤) الزماع : الاسراع
١٥) النزاع : الاشتياق
١٦) الميسم : العلامة
١٧) العلم : الراية
١٨) يقصد الشاعر بهذا البيت أن هذه السفن تذهب آونة للمتاجرة وأخرى للحرب
١٩) البجع : طائر عريض المنقار طويله واحده بجعة كناية عن عظم السفن

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٢ —

ونترك كارثة فلسطين لننتقل إلى أذناب المستعمرين ...

ولا تكاد تخلو إحدى قصائد الشاعر من تجريح هؤلاء الأذناب والتشهير بهم ، بل إن إنجلترا الغادرة لم تنل من الشاعر ما ناله أذنابها المزعمون ، وللجواهري وجهة نظره الصائبة في

غمزنا بالحضارة ساحليه ... فما عيا بحائطها اضطلاعا
نوارثناه أبلج عبقريا ... ذلول المتن منبسطاً وساعا
ترى حافاته انفجرت عيونا ... ورفت من جوانبه ضياعا
فازدنا الكتاب الفخم حرفاً ... ولازدنا المصور الزهر ساعا (٢٢)
عقدنا معقد الآباء منه ... فكنا البهم قد خلف السباعا (٢٣)
كأن الشمس مسلحة أصابت ... حفيفاً في طيالسه شجاعا
تحجب عن بحار الله حتى ... إذا خطرت به نضت القناعا
وما رأت العيون أجل منها ... على أجزاء هيكله الطلاعا
فما كشروقها منه نعيما ... ولا كغروبها فيه متاعا

° ° °

هذه عصماء شوقي التي قالها في تكريم الشاعر الكبير المرحوم عبد الحميد بك الرافعي وهي كما يراها القارئ الكريم نفحة خالدة من نفحات شاعر الشرق الخالد الذي لم يك شاعر مصر وحدها بل شاعر الانسانية برمتها وإن حدده هو فقال :

كان شعري الغناء في فرحة الشرق وكان البكاء في أحزانه

ومثل شوقي يظل خالداً ماظلت الشموس تدور في أفلاكها . وفي العدد القادم إن شاء الله أقدم « شوقية أخرى »

٢٢) ساعا : جمع ساعة
٢٣) البهم : صغار الضأن

ذلك ، فالإنجليز مهما عصفوا بالشرق والإسلام ، وناهضوا الحريات بشتى الوسائل ، فهم يخدمون وطنهم بما يرونه من الأساليب الظالمة ، أما هؤلاء الأذناب فخائنون آثمون يشنون الحرب على بلادهم ، ويصادرون حرياتها وكرامتها في غير هوادة وإشفاق ، وقد يبلغ بك الأسف أشده إذ تجد الشاعر يقارن بين عهدين ، عهد رزح فيه الاستعمار سافراً بوجهه الدميم ، بأمره ونهيه وبسلبه وبنهبه ، وعهد رجع فيه المستعمر إلى الوراء خطوة ، ووقف خلف ستار رقيق شفاف ينظر ما ينفذه صنائعه من تعسف وبطش ، وقد أخلى الطريق أمامهم فما استثمروا عاطفة نبيلة ، أو أحسوا بواجب قومي ، بل صالوا ذئاباً نهمة جشعة ، وعاثوا أضعاف ما عاث المستعمر الظلوم ، وانطلقت المطامع من مكامنها تحتجر وتدخر وكانوا ستاراً لعورات المحتل ومثالبه ! حتى فضل الناس أن يعودوا إلى العهد الأول فيقابلوا الاحتلال وجهاً لوجه ! ! إذ رأوا بعد التجربة الأليمة أن افتراش القتاد أهون من افتراش الجمر ، فأضحت أمنيتهم أن يضعوا الصفاد بأيديهم من جديد ، وكانوا يشتكون الجدب والمحول فرأوا من هؤلاء المستوزرين جراداً يستأصل ما بقى من الغصون والأوراق ، بدل أن يهطلوا غماماً ينعش الأرض ويسقى الزرع ويضاعف الثمرا

وليس الجواهري سادراً في خياله ، بل إنه يضع في يد قارئه الحجة ، فيتساءل عن حرية النقد التي كانت تجد مجالها في عهد المستعمر ، فلا يرى لها صدى يتجاوب ، وينظر إلى السجون والمعتقلات ، فيراها تستقبل أضعاف من كانت تستقبلهم قبل ذاك ؟ فليذرف الشعر دمعه الغزير على الشرق الكليم ، وما يوجه إليه من طعنات قاتلات :

فكم في الشرق من بلد جريح ... تشكى لا الجروح ولا الضمادا
تشكى بنى مقتاد بغيض ... تأبى أن يطاوعه انقيادا
فكانت حيلة أن يمتطيه ... رضيع لبانه فيغى وزادا
صدى للأجنبي ورب قفر ... أعاد صدى فسر بما أعادا
فكانوا منه في العورات ستراً ... وكانوا فوق جمرته رمادا
تروى من مطامعه وأبقى ... لهم من سؤر ما ورد الثمادا
وكان إذا تهضمه غريب ... أقام له القيامة والمعادا

فأسلمه القريب إلى قريب ... يسخره كما شاء اضطهادا
فبئس منى لمصفود ذليل ... لو ان يديه لم تضع الصفادا
وبئس مصير مفترشين جمرا ... عنبهم لو افترشوا قتادا
وكانوا كالزروع شكت محولا ... فلما استمطرت قطرت جرادا

والشاعر ذو نظرة واعية فاحصة ، فهو ينظر إلى أعمال هؤلاء مدركا عللها وأسبابها ، وقد فطن إلى أن المدرسة الاستعمارية التى تخرج المستوزرين فى شتى الأمم العربية مدرسة واحدة متفقة المناهج والأساتذة ، حتى لكأنها توزع من هؤلاء نسخا مطبوعة على الشرق ، وفى سطور كل نسخة وظروفها ما يتفق ومبادئ الاحتلال وأغراضه ، ويتضح هذا بجلاء فى قصائد الشاعر ، فأنت ترى ما يمثل فى العراق نظير ما يمثل فى كل قطر شقيق . وسيعرض لنا الشاعر فى قرائده رواية محبوكة الأطراف ، منسقة الفصول ، وقد استمدت أبطالها وحوادثها مما يجرى فى الشرق الصريع من محن وأرزاء ، وهو بعد موفق فى مسرحيته ، بارع فى أدواره إلى حد كبير ، وسأدير لك الشريط لتجد فى الفصل الأول مالا يغيب عن ذهنك من ألاعيب الاستعمار فى كل قطر منكوب ، فأنت أمام مستوزر بغيض يعرف ما يكنه له الشعب من احتقار وازدراء ، فيقابل ذلك بالبطش المنيف ، والرقابة المليئة بالدسائس والمؤامرات ، فإذا أراد أن يختلق مايبرر فظائعه الآثمة لجأ إلى الدستور فأخضع نصوصه الفضفاضة إلى ما يريد من تعسف وإرهاق ، وأوجد الشروح المتكلفة ، والتفاسير المموهة ، ممهورة بأسماء قانونية يغريها الذهب والمنصب والجاه ، فتحيل النهار ليلا والحق باطلا ، فإذا وجد الحجة القانونية الموهومة فى يده ، لجأ إلى المجلس النيابى فبدده فى طرفة عين ، وشرد أعضاءه الأحرار ، وأخذ يتحدث عن الحرية والمساواة والنزاهة ، وأجرى انتخابات باطلة زائفة ، وقد حشد لها رهطا من الأنصار والأنسباء ، فإن تجاوزهم فإلى فريق وصولى نفعى يروح مع الذئاب ويغدو مع الرعاة ، وبذلك يضمن الحجة الدستورية لبقائه فى المنصب ، دون أن يغفل أولياء نعمته من المستعمرين ، فيسوق إليهم ما يريدون ، وفوق ما يريدون ، وإن جر على بلده النكال والوبال ، هذا الفصل المؤسف من الرواية يمثل فى كل قطر نكب بالاستعمار ، وإن الشاعر ليبرزه بوضوح إذ يقول على لسان أحد هؤلاء :

تخذت الورى بالظن أحصى خطاهمو
ورحت لدقات القلوب محاسبا
ولم أر الاثم الفظيع ارتكبته
سوى أننى أديت للحكم واجبا
لجأت إلى الدستور فى كل شدة
أفسر منه ما أراه مناسبا
أكم به الأفواه حقا وباطلا
وأخنق أنفاسا به ومواهبا
أهدم فيه مجلسا لا أريده
وإن ضم أحرارا فيارا أطايبا
وأبنى عليه مجلسا لى ثانيا
أضيع ألكاكا عليه رواتبا
وأحشد فيه أصدقائى وأسرتى
كما ضم بيت أسرة وصواحبا

فإذا أنهى الفصل الأول من المسرحية أدار الشريط مرة ثانية . فطالعك فى الفصل الثانى بفريق من المستوزرين جذبهم الاستعمار إلى موائده ، وأظهر لهم العطف الزائد والحب الأكيد لبلادهم ، ورآهم أهلا لمحالفته على البأساء والضراء ، وأبرم معهم وثائق خادعة ، ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب ، فطار بها الأغراء كل مطار ، ورجعوا إلى بلادهم يتشدقون بالعزة والحرية والاستقلال ! ويدعون أنهم أنقذوا الوطن من براثن الاستعمار ، إنقاذاً مشرفا يتفق وكرامة البلاد ، فإذا حزب الأمر وتغير الوضع الدولى ، تنكر الحليف لوثائقه ، وسخر بأذنابهم وحلفائه ، وأخذ يفسر النصوص تفسيراً مجحفا ظالما وطالب بحقه كصديق محالف فى الانتزاف والاستلاب ، وهنا فقط يتيقظ النائمون من رقدتهم فيردون فى الوثائق أغلالا خانقة ، وقيودا ثقيلة مرهقة ، فيتنصلون مما اقترفوه ، كمولود تحدر من سفاح ، ويلصق كل فريق جريمته بأخيه ، ويعرف الجميع أن معاهدة الذئب للحمل ما كرة باغية ، ولا سبيل إلى مصادقة غريم يهدد صاحبه بالمحق الذريع ، ثم يضحك الشاعر من غفلة هؤلاء الذين لا يلمسون بداءة الأشياء فيتخبطون تخبط العشواء ، حتى يفجأهم الواقع

المريبا لا ينتظرون ، هذا هو الفصل الثانى من الرواية السياسية المؤلمة وأظن القارىء قد تشوق إلى رؤيته فلينظره فى هذه الأبيات

وضع أمس كلهمو لواء   به واليوم كلهمو لواحى
تنصل منه زورا صانعوه   كمولود تحدر من سفاح
وذموا أنهم كانوا عكوفا   عليه فى الغدو وفى الرواح
وتأريخ أريد لنا ارتجالا   فتاب كما أريد إلى افتضاح
شحنا دفتيه بمغمضات   (كأحداق المهى مرضى صحاح)
وغلفنا مظاهره حسانا   مزخرفة على صور قباح
وأحللناه وهو ضريح شعب   محل الوحى جاء من الضراح
نجرعه زعافا ثم نضفى   عليه محاسن الشيم القراح
وربة صفقة عقدت فكانت   كتحريم الطلاق على النكاح
تدبر فى العواصم من مريب   خبيث الذكر مطعون النواحى
يفوح الجمر منها فى اختتام   ويبدو البتر منها فى افتتاح
ويسقر نصها المسوه خزيا   ومظلمة عن النهد اللاح
وحلف لست أدرى من ذهول   أمن جد ينفذ أم مزاح
لنا حق يرجى بالتماس   وباطلهم ينفذ بالسلاح
ولست بعارف أبداً حليفاً   يهدده حليف باكتساح

ثم يدور الشريط فيعرض لك المؤلف فصله الثالث والرابع والخامس حتى تنتهى المسرحية الأليمة بانتهاء ديوانه ، ولن أجد من نفسى الرغبة فى تتبع الفصول وتحليلها تحليلا يرشد إلى كوامنها السياسية ، فهذا ما لا يغنى عن قراءة ديوان الشاعر ، بجزءيه الكبيرين ، وبخاصة إذا كان الحديث عن هؤلاء الأوشاب يسجل أكثر قصائد الديوان ، سواء أكانت فى الرثاء أو السياسة أو الاجتماع ، فهم القاسم المشترك فى كل ما يجلب الكوارث على البلاد ، وقد وصفهم الشاعر بما لا يعد مبالغاً فيه ، وصور الحقد فى نفوسهم . ورسم القطوب والعبوس والانقباض ، وجميع ما يلوح فى وجوههم الانفعالات والغضون ، وتهكم بترائهم المغتصب وجاههم الزائف وشهواتهم الجامحة العاصفة ، ونظر إلى أوسمتهم اللامعة نظرات أطفأت ما بها من تألق وبريق ، وحسبك أن يقول :

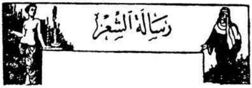
تداول هذا الحكم ناس لوانهم   أرادوه طيفا فى المنام لخيبوا
ورب وسام فوق صدر لو انه   يجازى بحق كان بالنعل يضرب
نشاربه بين المخازى وراقه   وسام عليها فهو بالخزى معجب

ولن نترك ما قاله الشاعر فى أعداء الشعوب دون أن نشير إلى سخريته الهازئة من أمانيهم الخادعة ، وعجبه لغفلتهم عما يتهددهم من مصير أليم ، وترقبه الساعة الفاصلة التى تستيقظ فيها الشعوب النائمة على صوت لجب صاخب يبعث بها التوثب والطموح ، فتندفع هائجة إلى فلول الخونة من الأذناب ، فتدوسهم بالنعال ، وتطؤهم بالأقدام، وكم يؤلمك أن يتمنى الشاعر من هؤلاء أن يقتدوا بإنجلترا ! فيهادنوا المروءة والرجولة ، ويحاربوا العقائد والمذاهب ، وأنى يكون ذلك ، والشعب البريطانى يقظ متوثب ، يقدر زعماؤه كرامته وحيويته ، أما أذنابهم فى الشرق فلا يعترفون بحمية وإباء، فصادروا الحريات ، وكمموا الأفواه ، فانطلق الجواهرى يقض مضاجعهم ، وكشف الأستار عن مثالبهم الفاضحة إذ قال :

ولقد رأى المستعمرون فرائسا   منا وألفوا كلب صيد سائبا
فتعهدوه فراح طوع بنانهم   يبرون أنيابا له ومخالبا
مستأجرين يخربون بيوتهم   ويكافأون على الخراب رواتبا
للشاربين دم الشباب لأنه   لو نال من دمهم لكان الشاربا
والحاقدين على البلاد لأنهم   حقرتهمو حقر السليب السالبا
ولأنها أبدا تدوس أفاعيا   منهم تمج سمومها وعقاربا
شلت يد المستعمرين وفرضها   هذى الملوق على الدماء ضرائبا
ألقى إليهم وزره فتحملوا   أثقاله حمل الثياب مشاجبا
وأذابهم فى الموبقات فأصبحوا   منها فجورا فى فجور ذائبا
يتمهل الباغى عواقب بغيه   وتراهمو يستعجلون عواقبا
حتى كأن مصائرا محتومة   سودا تنيلهمو منى ورغائبا

يتبع

محمد رجب البيومى



حر مقيد وعبد مسيب

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

فى الناس عبد قيده رهبة … أو رغبة فى هذه الفانيه
يعيش هجيراه : واحسرتا … لمطمعى يا حسرتا لماليه
يبيت موفورا ولكنه … مرزأ قد حرم العافيه
معبد إلا لدى نفسه … قد أطلقته فى الخنا راضيه
يرتع فى سوآته سائبا … كما تجز الكلأ الماشيه

* * *

وفيهمو حر له همة … لكل قيد فى الورى قاليه
تعلو على القيد به نفسه … تطير فى آفاقها العاليه
تراه من ذل الورى مطلقا … مقيدا من نفسه الآبيه
أنعم به مقيدا مطلقا … حرية بين الورى غاليه

لا يتسع وقتنا للخطب القصار

سمعت بمحفل خطبا طوالا … تصاب لها المسامع بالسقام
فقلت : عجبت للخطباء تزجى … فسيح القول فى ضيق المقام
فكم وقت أضاعوا فى كلام … سخيف النسج منفرط النظام
فقال محدثى : إنا سمعنا … عجيب القول من أحد العظام:
«يضيق الوقت عن خطب قصار … فنرمى بالطويل من الكلام

عبد الوهاب عزام

بنيتى*

إذا تطلعت إلى وجهها رأيت أمى مرة ثانيه

للأستاذ أنور العطار

بنيتى عصفورة شادية … تلعب فى عش الصبا لاهيه
بنيتى لحن رقيق سرت … فى مهجتى أفراحه صافيه
يهفو إليها القلب من وجده … فتنتشى أحلامه الماضيه
بنيتى شعر نفثت به … روحى فى عزلتها الساجيه
بنيتى وحى تلقيته … من نفحة عطرية ساريه
من عبق الزهر سقاه الندى … خمرته العلوية الشافيه
ومن نشيد النبع فى حقله … ومن صلاة الغابة الخاشيه
ومن صفاء الجدول المنتشى … ومن رؤى الأمسية الحاليه
من عودة القطعان مسحورة … تصغى إلى شبابة الراعيه
والدرب فى سكراته حالم … يسبح فى الأنشودة الشاكيه
والقرية السجواء فى صمتها … مطلة من شوقها رانيه

* * *

بنيتى أمنيتى فى الدنا … ومأملى والبغية الغاليه
سريرها يهتز فى أضلعى … تنام فى أعطافه هانيه
أيامها مشرقة بالمنى … ضاحكة بالبشر والعافيه

* * *

بنيتى طيف تملقته … من صغرى والفتنة النائيه
صورة أمى سربت فى دمى … وانبثقت من طفلتى باديه
بنامها وشوش فى مسمعى … وطاف فى مهجتى الصاحيه
إذا تطلعت إلى وجهها … رأيت أمى مرة ثانيه

أنور العطار

* من ديوان « ظلال الأيام » .

الكتب

فن المقابلة . . . مبادئه وطرقه

تأليف آنيت جاريت

للاستاذ محمد عثمان محمد

كثيرا ما يتوقف نجاح الفرد في حياته العامة على قوة شخصيته ومدى تفهمه وإتقانه لفن المقابلة

فقد يستقبلك شخص يستحوذ عليك أدبه ورقة حديثه فتنجز له في الحال طلبه ، وتقدم له ما استطعت من مساعدات ، وقد يستقبلك آخر بأسلوب السوقة والدهماء فتنفر منه ولا تحقق له أملا ، أو تنجز له طلبا

كما أن الإخصائي أو القائم بالمقابلة في أية هيئة أو مؤسسة أو منظمة اجتماعية يتوقف نجاحه في عمله إلى حد كبير على هذه الشخصية وعلى مدى تمكنه وإدراكه لهذا الفن كذلك

ولذا كان ولا يزال للمقابلة شأن عظيم في الدوائر السياسية والمجالات الدولية وفي المنظمات الإنسانية المختلفة التي تقوم بتأدية الخدمات الاجتماعية للأفراد والجماعات وفي مكاتب الاستعلامات وفي المصالح الحكومية وفي البنوك والشركات العديدة وفي المستشفيات العامة وفي المصحات وفي عيادات الأطباء وفي مكاتب المحامين والمحاسبين وفي دور النشر والصحافة وفي غيرها وغيرها

وقد قام أخيرا المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية مشكورا بترجمة مؤلف قيم يدور حول هذا الموضوع إلى اللغة العربية إسمه « فن المقابلة — مبادئه وطرقه » بقلم الإخصائية الأمريكية أنيت جاريت

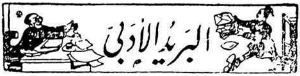
والكتاب من الحجم الصغير ، ويقع في مائة وثماني عشرة صفحة ، وقد تناولت المؤلفة في فصوله السبعة فهم الطبيعة البشرية والحالات النفسية للقائم بالمقابلة وأغراض المقابلة وكيفية القيام بها والأشياء التي تبحث عنها فيها ، وأخيرا الظروف الضرورية للمقابلة الحسنة ، ثم اختتمت بحثها الممتع هذا بكلمة عابرة موجزة عن « ثقافة الإخصائي » وما يجب أن يتزود به من معلومات عامة وخاصة حتى يقوم بما وكل إليه من عمل في المؤسسة التي ينتمي إليها على الوجه الأكمل

وقد يتصفح المتصفح الكتاب فيرى لأول وهلة أن بحثه يدور حول المقابلة من ناحيتها « المهنية » فقط ، وأنه ما نشر إلا لينتفع به الإخصائيون والقائمون بالمقابلة في مختلف المنظمات والمؤسسات ، ولكنه لو تفكر حقا لوجد أن كل ما جاء في تضاعيفه ما هو إلا دراسة مستفيضة وافية مفيدة للجميع ، للاخصائي ولغير الإخصائي

ومن اللاحظ أن المؤلفة لا تعرض بحثها فيه عرضا سطحيا سهلا ، ولكنها تلجأ في أسلوب سلس إلى التركيز فالمناقشة والشرح والتبيين

اسمعها حين تتكلم عن حوافز السلوك الإنساني (ص١٧) فتقرر أن الكثير من سلوك الإنسان يصعب علينا تعليله ، وأننا « ... قد نفلح في تقديم تبريرات بارعة ولكنها قد لا تجد القبول حتى منا أنفسنا ... » ثم تعمد إلى الشرح والإيضاح بقولها « ... أمثال ذلك كيف تستبد بنا ثورة الغضب إذا كان علينا أن ننتظر دقيقة واحدة ، على حين أننا نقف في أوقات أخرى في الصف ننتظر دورنا هادئين مدة نصف ساعة؟! أو لم ننزل عقوبة صارمة بطفل ما لأنه ارتكب هفوة يسيرة على حين نتجاوز عن أخطاء له أشد شناعة؟ »

ثم اسمعها حين تتحدث في موضع آخر عن الصراع بين الدوافع (ص٢٨) قائلة « إننا كثيرا ما نشك فيما قد يصدر عنا من أحكام ، وكثيرا ما نعيد النظر كرات فيما اخترناه متحسرين على سابق اختيارنا الذي قد يبدو لنا أننا كنا فيه غير موفقين » ضاربة المثل بالطالب الذي يتخلى عن اخوانه في حفل بهيج ليعود إلى استذكار دروسه استعدادا لامتحان مقبل من أنه « ... يشعر شعورا قويا أثناء الاستذكار أن هناك قوة تجذبه إلى الحفل ، وفي بعض الأحيان قد تكون هذه القوة من السلطان بحيث تغير اختياره فإذا هو مسرع إلى إخوانه ، وعندئذ فقط يشعر بصوت الضمير محاولا في يأس إن يجذبه إلى عمله ... وأيا كانت الرغبة التي تنتصر في النهاية والتي تفسح السبيل لها في حياتنا .. فإن الرغبة المهزومة لا تموت ، ولكنها تثور بين وقت وآخر .. »



مفرد شمائل

جاء في مقال شخصية الرشيد للأستاذ أنور الجندي في العدد ٩٩١ من الرسالة الزهراء ما يأتي: وتلك شمائل الرجل الفذ: والمعروف أن مفرد شمائل شمال بالكسر بمعنى الخلق والطبع، ولم أعثر على شميلة التي استعملها الأستاذ، ويحضرني قول عبد يغوث:

ألم تعلما أن الملامة نفعها   قليل وما لومي أخي من شماليا

كما يحضرني قول لبيد وقد جمع الفرد والجمع في شطر واحد

وهم قومي وقد أنكرت منهم   شمائل بدلوها من شمال

عبد الرازق عبد ربه

وهكذا لا تتناول نقطة من نقاط الكتاب إلا وتستوفيها شرحا وتمحيصا، وقد لفت نظرى واستوقفنى طويلا قولها في صفحة ٤٦ «... وهناك خطأ يسهل الوقوع فيه وهو أن تعرض على — عميلك — توكيدات غير حقيقية كأن تقول: أنا واثق أنك ستتحسن قريبا أو ستحصل على عمل في القريب العاجل أو سيتهيأ كل شيء على خير ما يرام، فمثل هذه الملاحظات فضلا عن أنها لا تطمئن — العميل — فإنها تسبب له شعورا بالشك في إمكان فهم القائم بالمقابلة للموقف وبالتالي قدرته على المساعدة»

فهل على الطبيب المعالج مثلا أن يصارح مريضه الطريح الفراش المعاني بحقيقة علته إذا كانت مستعصية ولا أمل له في الشفاء منها؟! أليس من الأفضل أن يتذرع بالحكمة فيطرد الوهم القاتل ما استطاع من فكره وأن يوهمه بأن علته هذه التي يشكو منها غير مزمنة ولا هي غير مستعصية. وأنه واثق الوثوق كله من أن حالته بإذن الله ستتحسن قريبا؟!

نعم، ليس من الحكمة ولا من الخير أن يكون المرء في جميع أحواله صادقا، ولا أن يكون في جميع ظروفه كاذبا، ولكنه يجب أن يكون للصدق موضعه، وأن يكون للكذب موقفه ومبرره

ورحم الله شيخ المعرة كم كان صادقا موفقا حين قال في لزومياته:

اصدق إلى أن تظن الصدق مهلكة   وبعد ذلك فاقصد كاذبا وقم

محمد شعبان محمد

رسالة السينما في تربية الشعوب

إن «للسينما» في بلاد الغرب رسالات لها قدرها في تربية الشعوب، ولها خطرها في النهوض بها، وما من رواية تعرض على الشاشة في تلك البلاد إلا ولها قصة حية، وموضوع قوى، ومعان عظام تأخذ بالألباب..

إن «السينما» أصبحت هناك وسيلة إلى تربية الشعوب والنهوض بها، وتقويم أخلاقها وبذر بذور المثل العليا في نفوسها ودفعها إلى الأمام نحو الحياة الصحيحة لتصل إلى غاية المجد ونهاية السؤدد، وبذلك أمكنها أن تؤدي لأوطانها خدمات كثيرة جليلة، وأن تكون لها رسالة تنال تقدير الجميع وثقتهم.

أما هنا في الشرق — ولا سيما في مصر — فلم «تصبح السينما» بعد، وبكل أسف إلا عاملا من عوامل الترفيه ليس إلا، يغزوها أفراد الشعب ليشبعوا أنظارهم من المناظر الماجنة، ويرفهوا عن أنفسهم بالنكات الفارغة — وإذا حاولت أن تجد قصة لها مغزاها الاجتماعي أو السياسي أو الخلقي فلن تجد، وبذلك استساغت الطبقة المثقفة أن تنفر من الرواية المصرية متجهة إلى الرواية الغربية تنهل من معانيها وترتوى من مثلها

إننا لا ننكر أن بعض السينمائيين يتجهون اتجاها سليما في التأليف والإخراج، ويقدمون للشعب المصري زادا طيبا يرضى منه الجميع، ولكن هذا الزاد ضئيل الضآلة التي تجعله ضائعا بين الغث الكثير الذي لا ساحل له.

إن الألم ليملأ نفوسنا حين نجد الشوارع والميادين والصحف تغص بالإعلانات عن روايات «. تعال سلم — مانقوليش لحد — أحبك انت — قبلنى يا أبى — لماليو — بيت الأشباح — في الهوى سوى.. وما إلى ذلك من الفوضى التي لا حد لها. وكم

كنا نود من صميم أنفسنا ألا نقل عن الغرب فى هذا الجانب ، ولنا من طبيعتنا مايساعدنا على ذلك ، ولنا من أحوالنا ما يجعلنا فى مسيس الحاجة إلى القصص الحية ذات المعانى التى تنهض بنا فى كل شأن من شؤون حياتنا .!

نفيسة الشيخ

الاقتباس من القرآن

. . اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمنوا مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من القرآن الكريم . وربما لم تكن هناك أدنى صلة بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية من أجله . لذلك عد العلماء هذا النوع من الاقتباس من النوع المحرم الذى ينبغى أن تعاف النفوس مسافه . .

وفى ذلك يقول الإمام الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه « كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن » . يقول فى مبحث الاقتباس ما يأتى : — « ... وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جلة وسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموه اقتباس من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئا من ذلك أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه — ثم جئت على قدر ياموسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذى أريد به .. فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه — لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا — بل أنتم بهديتكم تفرحون — وقال لرسوله — ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون — وأوحش من ذلك وأعظم منه فى الشعر قول الشاعر : —

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله .. قـل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

إلى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغى أن تعاف النفوس مسافه وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين الحدث والقديم ؟ »

محمود حمدى زقزوق

اقتراح .. ودعوة

بضعة أسابيع أخرى .. وتزف دار الرسالة العدد الألف من هذه المجلة الكريمة .

العدد الألف ! أليست تستوقف هذه الكلمة الصغيرة نظر كل قارئ وكل كاتب تصله بهذه المجلة صلة ، أى صلة ؟ أليست تشير هذه الكلمة الصغيرة إلى المنارة التى رفعتها سامقة هذه المجلة على شاطئ المفاخر العربية فى جهادها الطويل فى محيط الأدب والعلم ؟

أليست من المفاخر الخالدة فى تاريخنا الحاضر أن تواكب الحياة مجلة أدبية جدية كالرسالة كل هذا العمر المديد ؟ إن مواكبة الرسالة للحياة لم تكن نزهة خالية إلا من الرغبات والمنشطات والمبهجات ..

لقد كانت مواكبتها للحياة هذه الفترة كلها جهادا ونضالا .. كانت تحمل أمانة العلم الخالص ، وكانت تضطلع برسالة الأدب الإنسانى الحر .. وما أثقله حملا ! وأمانة العلم تبهظ أشد الكواهل ! وما أخطرها وظيفة ، ورسالة الأدب الحق تهول أثبت الأفئدة !

وكانت تخوض — بما تحمل — من ظروفها أعنف الأمواج ، ويناهضها من مشاكل جهادها المنزه المجرد أضرى الأنواء .. ومع ذلك فقد أدت الرسالة أمانتها أمثل أداء .. وسمت برسالتها إلى أخلد الآفاق وأمجدها .. يقر بذلك كل قارئ ورد غديرها ، ويشهد به كل كاتب وقع على روحها !

فهل تمر بعد ذلك هذه المناسبة السعيدة — مناسبة العدد الألفى — دون أن تستلفت أحدا ؟!

ألا يجدر بأبناء العربية أن يقفوا هنيهة يحيون فيها هذا



تجربة قاســـية

مترجمة عن الانكليزية

إن التغيير المستمر الذى طرأ على مركز المرأة قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية ، ولا تزال الحالة تزداد كل يوم سوءاً

وما دامت المرأة ترى واجبها فى الحياة أن تكون أما وزوجة وربة منزل فهى شريكة الرجل فى سروره وحزنه وغنائه وفقره ، ولكنها متى تركت هذا المجال فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين : إما خادماً للرجل وإما حاكمة له ، ومن أجل ذلك كان أتعس السيدات هن نساء الطبقة التى يدعونها بالطبقة الراقية اللواتى لا يرين أنفسهن فى حاجة إلى التفكير فى قوت يومهن واللواتى يقضين أيامهن كسالى بليدات ويرمين بكل واجب من واجباتهن إلى أخريات ، فإنهن أقل شعوراً بالسعادة من سائر النساء

ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير .. فإنها نشأت وظلت طول عمرها لا تقدر مسئولية لشئ ، فهى تتنقل من يد المرضعة إلى يد المربية إلى معلم الموسيقى والرقص دون أن تشعر فى هذه الأدوار إلا بأنها مخدومة ، وأن على غيرها واجبات لها وليس عليها لأى إنسان أى واجب

وتزوجت من رجل متقدم فى العمر فمات وهى لما تبلغ الخامسة والعشرين ، وقد وجدت نفسها عند موته غنية ذات معجبين كثيرين بجمالها وهى حرة فى اختيار ما تريد وترك ما تشاء ، فكانت نتيجة حياتها على هذا النمط أن شعرت بالسأم وأحست بأن الحياة عبء ثقيل عليها ، فكان لذلك كل عملها أن تقتل الوقت كأنما هى لا تريد إلا التخلص من حياتها جزءاً جزءاً

ولكنها مع هذا السأم من الحياة كانت زينة الحياة وبهجتها فى أعين كثيرين ، ومن الغلطات الشائعة أن الناس يحسبون أن جميلة العينين وسيمة الوجه تكون حتما ذات ذكاء يتناسب مع جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان فى السيدات من تجتمع فيهن هذه الصفات فإن صاحبتنا البارونة أديل لم تكن كذلك بل كانت روحها قاتمة مظلمة

كانت متوسطة الطول نحيلة شديدة البياض بحيث يظهر فى جلدها الناصع لون عروقها الزرقاء. وهى جميلة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين ذهبية الشعر ، ولكن عينيها كانتا أجمل شئ فيها فقد كانت نظراتها الوسنى مثل نظرات الحالم .

وقد قضت سنوات فى الحداد على زوجها تتنقل بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وإسبانيا ، وكان أحب أماكن الاصطياف إليها جبال التيرول حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها فى غرفة استقبالها . وفى يوم من الأيام أرادت أن تتسلق إحدى قممها المكللة بالجليد فلبست ثوباً من الفرو وأمسكت بعصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل الغروب ، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت الشمس قد غابت . ثم وجدت أنها ضلت الطريق وأصبحت محاطة بحفائر مكدسة بالثلج بحيث لا تستطيع العودة ولا الاستمرار فى المشى .

وحاولت عبثاً أن تجد لها منفذاً ، فرأت من المستحيل أن تتقدم أو تتأخر أو تعلو أو تهبط فاستغاثت بأعلى صوتها ، ولكنها لم تسمع غير صدى صوتها فأخرجت من جيب معطفها مسدساً وأطلقته ولكنها لم تسمع غير دوى الطلقات ، فخارت

المجاهد العظيم فى هذه المناسبة العظيمة ؟

ألا يقتضينا الولاء قبل الإنصاف أن نسجل للرسالة هذا الفخر الفاخر بكلمة تكتب أو كلمة تقال ؟

إنى أقترح على راعى هذه المجلة العظيم الأستاذ الزيات بك أن يخرج من العدد الأتى عدداً ممتازاً ..

وإنى أدعو أدباء العربية أن يتبادروا المشاركة فى هذه المأثرة الأدبية النادرة — تحية الرسالة بمناسبة عددها الأتى !

محمد الأمين فاؤوط

قواها وجلست على صخرة بعد أن أزالت ما عليهـا من الجليد وظلت تبكي .

وبعد ربع ساعة مر عن كثب منها رجل يصفر فنادته وكلمته بلهجة لم تتكلم بها منذ سنوات وهي لهجة التوسل والضراعة، وطلبت إليه أن ينقذها فمشى نحوها رافعاً قبعته محيياً باحترام . وعرض عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت من ثيابه ومن الأسلحة التي يحملها أنه من هواة الرياضة والصيد . ودلتها هيئته على القوة والإعجاب

قال لها : « اسمحي لي أن أحملك »

فقالت : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً »

قال : « لاداعي إلى مثل هذا القول »

ثم حمل البارونة بين يديه فشعرت وهي محمولة بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه الحارة تدفئ خديهـا فتسائل نفسها أي شعور هو الذي تجده في نفسها في هذا الوقت ، هل هو الحب ؟

فلما وصل بها إلى الفندق الذي تقيم فيه شكرته ودعته إلى زيارتها ووعدها بأن يرافقها في فرصة أخرى إلى جبال التيرول .. وسألته عن اسمه فقال إنه فرديك فون فاردورف

قالت : « أنت ذلك الرومي الشهير ؟ لقد سمعت اسمك يتردد كثيراً في الأوساط العالية »

فأخبرها فاردوروف بأنه من أسرة ألمانية تنتمي إلى أصل رومي ، وأن ضياعه في كونترلاند ولـكنه لم يزرها منذ سنوات لأنه كان في العهد الأخير يزور بقاعاً مختلفة من الأرض

وفي اليوم التالي زارها فاردوروف ودار الحديث عن زياراته لأمريكا الجنوبية وإفريقيا الشمالية وقرأ لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف . وكانت تصغي إلى حديثه متلذذة وتدعوه إلى تـكرار زياراته فـكررها . وسارت بعد ذلك تخرج معه إلى جبال التيرول وإلى غيرها من المتنزهات وتدعوه للعشاء كل ليلة فأخذ الناس يتحدثون عن علاقتهما وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم التفاهم على شيء من ذلك

وفي ليلة من الليالي كانا جالسين معاً في المنزل فقالت إديل « إننا سنفترق سريعاً يا فاردوروف » فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأنني تغيبت عن منزلي طويلا وأريد العودة ، فهل تزورني هناك ؟ » فقال : « ما الذي تمنين ؟ هل تحبين ألا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذي تعنيه أنت ؟ إنني أتأثر كثيراً إذا ابتعدت عنك » فقال الرومي بلسان متلعثم : « هل تسمحين ؟ . . . ألا يغضبك . . . ؟ »

قالت : « تكلم ! ما الذي عندك من الـكلام » فقال : « إنني أحبك يا إديل »

فأطالت البارونة التحديق في وجهه فقال : « لا تمنعيني عن الـكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : (ولـكنني لم أعد أومن بالحب) فقال الرومي : (أعرف ذلك ولم أعلل نفسي قط بأنك ستجازينني على حبي بمثله ولـكنك قلت لي مراراً إنك تعيشين بغير غرض ولا تسرين من أي بواعث السرور فعيشي معي زوجة لي وأنا الـكفيل بأن ينشأ في قلبك ميل لي بعد الزواج)

فنظرت إديل نظرة شاردة من النافذة دون أن تجيبه بأي جواب وسكت الرومي لحظة ثم قال : (قرري ياسيدتي بكلمة منك إما حياتي وإما موتي)

فأجابته وهي تبتسم : (الحياة أو الموت ؟)

قال : (نعم إنني أعني ما أقول فإني أفضل الموت إذا لم تحبيني .. فقالت المرأة التي لا قلب لها : (هذا مجرد تعبير)

قال : (كلا ولـكنه الحقيقة فاختاري لي الحياة أو الموت)

فقالت (إنني سأعطيك مهلة عام فإذا لم تستطع في خلالها إقناعي بأنك تحبني حقيقة وإذا لم تستطع أن تبعث في نفسي عاطفة الحب نحوك فإني سأقضي عليك بأن تقتل نفسك)

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكا عاليا فقال الرومي وهو عابس مقطب : (إذا حكمت بعد انقضاء العام بأنه لا أمل في الحياة معك فإني أفعل كما تريدين ولـكن يكون لي عندك رجاء آخر)

قالت : « ما هو ؟ » فقال : « أن تقتليني أنت »

قالت . « لماذا ذلك » فقال : « ولكن هل تستطيعين ؟ »

فقالت « ولم لا ؟ إنه يستوي عندي أنا أن تقتل عندي نفسك من أجلي أو أن أقتلك بيدي » فقال الرومي : « إذن فعاهديني على

أنه بعد انقضاء العام إما أن تقتليني أو تتزوجي مني »

قالت : « أعاهدك على ذلك ولكن يجب أن تتذكر أنت أيضاً تعهدك عند انقضاء العام وألا تنتظر مني رحمة »

فقال: «لاوسط بين الحالتين فإما أن تكوني لي وإما أن أموت»

ومد كلاهما يده إلى الآخر فتعاهدا على ذلك

ومضى العام وهما يعيشان معاً في منزلهـا بفينا وكان الليل ساجياً من ليالي الربيع الجميلة وهي جالسة على غرفة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها فقالت : (هل نسيت ؟)

قال : (نسيت ماذا ؟) فقالت : (هل نسيت عهدنا ؟ إن اليوم موعده) فمرت جسم الرومي رعشة باردة وقالت له همساً : (أدن مني وأخبرني ما هو رأيك اليوم في تعهدك قبل أن تسمع حكمي)

قال : (إنني أرتعش ...) فقالت : (إذن فاسمع الحكم : (إنك قد أقنعتني بأنك تحبني فليس عندي شك في ذلك ...)

وهنا ارتمى الرومي على قدميها ليقبلهما فقالت : (لاتتسرع فإنك لم تسمع بقية الحكم)

فقال : ما الذي تعنين ؟ فقالت : (إنك أقنعتني بأنك تحبني ولكنك لم تستطع أن تجعلني أحبك)

قال : (ما أشد قسوتك يا إديل !)

فقالت : « إنني أكلمك كلاما صريحا شريفاً »

قال الرومي : « أنا عند حكمك إذن فاقتليني »

فقالت : «هكذا سأفعل فأني ذاكرة عهدي. وروحك الآن في يدي ولن أتركها هبة لك. إنني لاأحب ولكنني أريد أن أكون محبوبة وأن يحبني من يحبني فيموت تحت قدمي وأنا أنظر إليه نظرة احتقار »

قال : « هل تجدين فيما تقولين ؟ » فقالت (ألا تصدق ؟ هل حبك لنفسك أكثر من حبك لي ؟)

قال : (كلا كلا : وإني مستعد للموت) فقامت وعادت وفي يدها زجاجة صغيرة مملوءة بسائل أســود وقالت : (اشرب هذا) .

فتناولها وقال : أشرب في حبك ياإديل ثم قال : (ناوليني يدك فإن قواي تخونني) .

ثم أظلمت الدنيا في عينيه . وبعد ساعتين أفاق فوجد رأسه على حجرها وهي تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة دالة على السعادة

قال : (ما الذي حدث ؟) فنادته باسمة بصوت عذب فقال: (هل أنا أحلم الآن ؟ ألم أمت ؟)

قالت : (كلا وستعيش وستكون لي زوجا فإني أحبك كما تحبني) فقال : (وماذا كان السائل الأسود الذي في الزجاجة ؟ ألم يكن سما ؟)

قالت (كلا ، ولكنه مخدر) فقال : (لماذا ؟)

قالت : (لكي أجربك) فوقف الرومي مسرعا وقال: تقولين إنك تحبينني؛ ولكنك مع ذلك تتركينني أقاسي أشد الآلام بقصد اللهو والتسلية. إن المرأة التي تفعل ذلك لاتستطيع أن تملك قلبي)

قالت إديل بصوت الخائف : (ألم تعد تحبني يا فاردورف ؟ ما الذي جعلك تغير هذا التغير الفجائي؟ ألم تعد تحبني؟) فقال : (إنني لا أحبك الآن ولن أحبك في المستقبل ، وداعاً !)

فطوقت إديل عنقه بذراعيها وقالت . (أستحلفك بحق السماء ألا تجعلني أتعس إنسانة في الوجود) فقال : (أنت التي أتعستني وأتعست نفسك . وداعاً)

قال ذلك ثم تخلص منها فارتمت على قدميه ولكن ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج مغضبا

ولما جاءت الخادمة وجدت إديل مستلقية على الأرض جثة هامدة

ع . د

مطبعة الرسالة